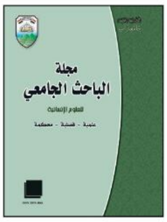

جامعة إب
مجلة الباحث الجامعي
ISSN: 2079-5068 ISSN (online): 2663-3930

طرق العلماء في استخراج اللطائف التفسيرية البلاغية

ميثاق رفيق يحيى صالح عطران

قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة إب، اليمن

الكلمات المفتاحية: الطرق، اللطائف، التفسير، البلاغة،

الملخص:

يعرض هذا البحث مسالك العلماء في استنباطهم للطائف التفسيرية البلاغية، بتتبع الطرق التي وقفوا عليها عند تفسيرهم للآيات فمكنتهم من إدراك أجل اللطائف، وقد هدف البحث إلى: بيان المقصود بمصطلحات البحث، والكشف عن الطرق التي اعتمد عليها العلماء للوصول إلى اللطائف التفسيرية البلاغية، وقد اتبع البحث المنهج الاستقرائي في جمع المادة من مظانها، والمنهج الوصفي التحليلي في عرض المادة العلمية وتحليل مسائلها، واقتضى عنوان البحث تقسيمه إلى تمهيد وثلاثة مباحث: التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث، والمبحث الأول: الطرق اللغوية، والمبحث الثاني: الطرق المتعلقة بالعلوم القرآنية، والمبحث الثالث: طرق متنوعة، ثمّ الخاتمة وفيها أهم النتائج ، التي من أهمها: تعدد الطرق التي اعتمد عليها العلماء في استنباط اللطائف التفسيرية البلاغية وأكثرها اعتمادًا طريقة التأمل في سياق الآيات السابق واللاحق، كشفت طرق اللطائف التفسيرية البلاغية عن ثروة من الدلالات الخفية التي أظهرت بلاغة القرآن أو وجهًا من وجوه الإعجاز وهو الاعجاز البلاغي، كما أظهرت دقة التعبير القرآني في انتقاء الألفاظ التي تتناسب مع سياق الآيات ومضمونها وجوهرها العام.

طرق العلماء في استخراج اللطائف التفسيرية البلاغية

Methods of scholars in extracting rhetorical explanatory subtleties

Mithaq Rafeeq Yahya Saleh Atran
Department of Qur'an Sciences and Islamic Studies, Faculty of Arts, Ibb University, Yemen

Keywords:

Methods, Hidden Connotation, Exegesis, Rhetoric,

Abstract:

This research presents the paths of scholars in their derivation of the rhetorical exegetic genres, by tracing the methods that the commentators stopped at during their interpretation and contemplation of the verses, which enabled them to realize the purpose of the rhetorical interpretations. The research aimed to: clarify what is meant by the research terms, and reveal the methods that the scholars relied upon to arrive at the rhetorical interpretive genres. The research followed the inductive approach in collecting the material from its contexts, and the descriptive analytical approach in presenting the scientific material and analyzing its issues. The title of the research required dividing it into an introduction and three sections: the introduction: defining the research terms, the first topic: linguistic methods, and the second topic: methods related to the Qur'anic sciences. The third section: Various methods, then the conclusion, which contains the most important results and recommendations, the most important of which are: the multiplicity of methods that scholars have relied on in devising rhetorical explanatory subtleties, the most widely adopted method of contemplating the context of the preceding and subsequent verses. The methods of rhetorical explanatory subtleties revealed a wealth of hidden connotations that it demonstrated the inimitable eloquence of the Qur'an and one of the aspects of the miracle, which is the rhetorical miracle. It also demonstrated the accuracy of the Qur'anic expression in selecting words that are appropriate to the context of the verses, their content, and their general essence.

المقدمة

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه، حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آل وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم دين، وبعد:

أنعم الله _تعالى_ على عباده بنعم كثيرة، أجلها نعمة القرآن الكريم، هذا الكتاب المحكم الذي وصفه تعالى بقوله: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت:42] يضم بين دفتيه جواهر ثمينة ولآلئ نفيسة من الدلالات الظاهرة والخفية التي تظهر بالتدبر؛ لذا دعانا المولى_ ﷻ_ إلى إعمال النظر في آياته ليتذوق من محاسنه وجمال مكامنه بقدر ما يفتح الله به علينا، وقد أدرك السابقون ومن جاء بعدهم عَظمة هذا القرآن وآثاره النافعة عليهم فأداموا النظر فيه تدبرًا وعملًا، فعكفوا على دراسته وعاشوا في ظلال آياته، وسخروا معارفهم وعلومهم لتكون لهم وسيلة تعينهم في استنباط حقائقه ودقائقه، فنظروا في الآيات وسياقاها ومشابهها وقارنوا بين تعبيراتها، ورجعوا إلى الأثر واللغة وأشعارها وقواعد التفسير وغيرها، واستطاعوا من خلالها تذوق جمال نظم الجملة القرآنية، والوقوف على بعض أسرار تركيبها البديع.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في:

1. أنه يسعى للكشف عن الطرق التي وقف عندها العلماء في استخراج لطائف القرآن البلاغية.
2. يقوي جانب التفكير، فالنظر في طرائق العلماء وكيفية تعاملهم مع تلك الطرق في استخراج اللطائف ينمي قوة التفكير ويوسع المدارك، ويفتح طريقًا للتدبر بإضافة معانٍ جديدة لم يقف عندها الأوائل.

أسباب اختيار موضوع البحث:

1. أهميته، من جهة أنه يرتبط بعلم التفسير.
2. جِدة الموضوع، وعدم وجود دراسة علمية سابقة فيه.

أهداف البحث:

1. بيان المقصود بطرق اللطائف التفسيرية البلاغية.
2. الكشف عن طرق اللطائف التفسيرية البلاغية.

الدراسات السابقة:

لا يوجد دراسات _بحسب الاطلاع_ تعرضت لموضوع البحث الرئيسي: وهو الطرق التي وقف عندها العلماء لاستنباط اللطائف البلاغية، إنما جملة ما وقفت عليه الباحثة، دراسات تناولت مفهوم اللطائف، من هذه الدراسات:

- لطائف القرآن الكريم عند ابن عاشور_ جمعًا ودراسة_ :أ. د/ أحمد بن سليمان بن صالح الخضير، وهو بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد السادس، حيث قام ببيان المقصود من لطائف القرآن، وإبراز لطائف القرآن عند ابن عاشور وبدراستها.
- ملح التفسير ولطائفه: د. مساعد الطيار،

وهو مقال في الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن، العدد 32، حيث تطرق فيه إلى تعريف الملح واللطائف ومقامها، وقواعدها.

- اللطائف التفسيرية عند الإمام أبي الثناء الآلوسي (ت: 1270هـ) سورة البقرة أنموذجًا _جمعًا ودراسة_: بحث منشور، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الجامعة العراقية، العدد 61، فقد تطرق إلى بيان مفهوم اللطائف التفسيرية، وتتبع اللطائف عند الإمام الألوسي وقام بدراستها.

مشكلة البحث:

السؤال الرئيسي التي سعى البحث للإجابة عنه هو: ما الطرق التي كشف بها العلماء عن لطائف القرآن البلاغية؟

منهج البحث:

سوف تتبع الباحثة المنهج الاستقرائي في جمع المادة من مظانها، والمنهج الوصفي التحليلي في عرض المادة العلمية وتحليل مسائلها.

آلية البحث:

سوف تلتزم الباحثة الآليات التالية:

1- النقل عن المصادر الأصلية قدر الإمكان وإن لم تتوفر فعن المصادر الناقلة عنها.

2- عزو الآيات القرآنية إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

3- تخريج الأحاديث الواردة في البحث وفق الآتي: إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فيقتصر عليهما في التخريج، وإذا كان الحديث في غير الصحيحين فسيتم تخريجه من مظانه مع ذكر أقوال بعض العلماء في الحكم عليه.

4- لن يلتزم البحث بالتعريف بالأعلام.

5- ذكر الكتاب والمؤلف كاملين في أول وروده مع ذكر محقق الكتاب إن وجد، وبقية البيانات تؤجل لفهرس المصادر والمراجع تجنبا للتكرار والإطالة.

6- وضع الكلام المقتبس بنصه بين علامتي تنصيص " ... " ، ثم إحالته في الهامش إلى مصدره ، أما ما كان فيه تعديل أو اختصار أو نقل للمفهوم فسيصدر اسم المرجع بلفظ (ينظر).

هيكلة البحث:

تم تقسيم البحث على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث وسبب اختيار موضوعه وهدفه ومشكلته والدراسات السابقة وآلية البحث وهيكلته، ثم التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث، ثم المبحث الأول: الطرق اللغوية، ثم المبحث الثاني: الطرق المتعلقة بعلوم القرآن، ثم المبحث الثالث: طرق متنوعة، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج، ثم فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث

لا بد من تعريف المصطلحات التي يتناولها هذا البحث لتتضح لدينا رؤيته الدلالية، وهذه المصطلحات هي: الطرق، اللطائف، التفسير، البلاغة، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: الطرق لغة واصطلاحًا:

الطرق لغة: جمع الطريق، قال ابن فارس رحمه الله:" الطَّاءُ وَالرَّاءُ وَالْقَافُ أَرْبَعَةُ أُصُولٍ، أَحَدُهَا: الْإِتْيَانُ مَسَاءً، وَالثَّانِي: الضَّرْبُ، وَالثَّالِثُ: جِنْسٌ مِنِ اسْتِرْخَاءِ الشَّيْءِ، وَالرَّابِعُ: خَصْفُ شَيْءٍ

عَلَى شَيْءٍ[1]، ثمّ ذكر من الأول: الطريق؛ لأنه يُتورَّد، وجوّز أن يكون الطريق من الاصل الرابع، فقال:" وَلَيْسَ بِبَعِيدٍ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَذَا الْقِيَاسِ: الطَّرِيقُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ شَيْءٌ يَعْلُو الْأَرْضَ، فَكَأَنَّهَا قَدْ طُورِقَتْ بِهِ وَخُصِفَتْ بِهِ"[2].

وذكر ابن منظور رحمه الله أن:" الطَّرِيقُ: السَّبِيلُ، تذكَّر وَتُؤَنَّثُ؛ تَقُولُ: الطَّريق الأَعظم والطَّرِيق العُظْمَى"[3].

ويجمع على: أَطْرُقٌ وطُرُقٌ وأَطْرِقاءُ وأَطْرِقَةٌ، وجمع الجمع : طُرُقاتٌ[4].

الطرق اصطلاحًا: هو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى المطلوب[5].

ثانيًا: اللطائف لغة واصطلاحًا:

اللطائف لغة: مادة اللطائف التي جذرها الثلاثي "لَطَفَ" ومفردها: لطيفة، قد وردت في كتب المعاجم بعبارات متنوعة، ومعظمها تدور حول دلالات متقاربة في المعنى، وعند النظر في مادتها نجدها تتمحور في عدة معانٍ وهي كالآتي:

1- **الصغر والدقة:** يقال: لَطُف الشَّيْء بالضم، يَلْطُف: إذا صَغُر ودُقّ، يقال: وجاريةٌ لَطِيفةُ الخَصْر: إذا كَانَت ضامرةَ البَطْن[6]، ولَطُفَ لَطافةً، وإنّ فيها لَلَطافةَ خَلْق: غير جسيمة[7].

2- **الرفق وعدم الجفاء:** يقال: لطَف الشيء بالفتح، بمعنى رفقَ، يقال: لَطَف فلَان لفُلَان يَلْطُف: إذا رَفَق لُطْفًا. وَيُقَال: لَطَف الله لَك، أَي: أوْصل إِلَيْك مَا تُحِب برِفْق....، وفلانٌ لَطِيفٌ بِهَذَا الْأَمر، أَي: رَفِيقٌ، واللَّطيفُ: اسْم من أَسمَاء الله الْعَظِيم، وَمَعْنَاهُ، وَالله أعلم: الرفيق بعباده[8].

وقيل: اللَّطِيف هُوَ الَّذِي اجْتَمَعَ لَهُ الرِّفق فِي الْفِعْلِ والعلمُ بِدَقَائِقَ الْمَصَالِحِ وَإِيصَالُهَا إِلَى مَنْ قَدَّرَهَا لَهُ مِنْ خَلْقِهِ [9].ويقال اللّطيف: الشّيء الذي لا يتجافى، من الكلام وغيره[10]. ويقال أيضًا: لطفتُ الشَّيْء بجنبي، واستلطفته: إذا أَلْصقته، وَهُوَ ضد جافيته عني[11].

3- **الغموض والخفاء:** يقال:" اللَّطِيفُ مِنَ الْكَلَامِ: مَا غَمُض مَعْنَاهُ وخَفي"[12]، ويعبّر باللَّطَافَةِ واللُّطْفِ عن الحركة الخفيفة، وعن تعاطي الأمور الدّقيقة، وقد يعبّر باللَّطَائِفِ عمّا لا تدركه الحاسة[13].

4- **البر والكرم والتوفيق والعصمة:** اللَّطَفُ: البِرُّ والتَّكْرِمة، وَأم لَطِيفَة بِوَلَدِهَا تُلْطف إلطافًا، واللَّطَفُ أَيْضا: من طُرَف التُّحَف مَا أَلْطَفْتَ بِهِ أَخَاك ليَعْرف بِهِ بِرَّك[14]، واللُّطْفُ، بالضَّمِّ من اللهِ تَعَالَى: التَّوْفِيقُ والعِصْمَةُ[15].

اصطلاحًا: تعددت تعاريف العلماء لمصطلح اللطائف في الاصطلاح وجملة ما وقفت عليه الآتي:

عرّف الجرجاني _رحمه الله _ اللطيفة بقوله : " كل إشارة دقيقة المعنى تلوح للفهم لا تسعها العبارة، كعلوم الأذواق"[16].

وعرّفها بعضهم بالمصطلح المرادف لها بأنها: "النكتة إذا كان لها تأثير في النفس بحيث يورث نوعا من الانبساط كما يجيء، وهي إشارة دقيقة يتّضح بها إشارة لمعنى لا يتّسع لها اللفظ"[17].

وعرّفها آخرون بأنها: "عبارة عن إشارة دقيقة لم يسبق لها ورود في ذهنه، ولا يتّسع لها التعبير"[18].

وعرّفها آخرون بقولهم :" اللطائف: جمع لطيفة، وكل شيء دقيق محكم وغامض خفي، يحتاج إلى الرفق والتأني في إدراكه، فهو لطيف"[19].

وعرّفها د. سلمان العودة بقوله: اللطائف جمع لطيفة وهي الشيء الغريب، الذي يتسلل إلى النفس وإلى القلب[20].

وعند النظر في التعريفات السابقة لمصطلح اللطائف يمكن تحليلها والخروج بالآتي:

1- أن جميعها متفقة في التعبير عن اللطائف بأنها: الشيء الخفي الغامض، فالمعنى الاصطلاحي للطائف لا يخرج عن المعنى اللغوي.

2- تتسم اللطائف بتعدد وجوه الدلالات، وتأثيرها على النفس من حيث إنها تورث عذوبة وانبساط عند متذوقها.

3- أن اللطائف لا تظهر للناظر إلا عند التأمل والتدبر، وتتطلب من متدبرها صفاء ذهن، وقوة قريحة، وعلوم مكتسبة؛ لاستخراجها.

وبعد هذا التحليل للطائف تخلص الباحثة إلى تعريف مختار للطائف ويمكن تعريفها بأنها: المعاني الغامضة الخفية التي تحتاج إلى تأمل وفكر لاستخراجها، وتستند إلى ضوابط وعلوم شرعية.

ثانيًا: تعريف التفسير في اللغة والاصطلاح:

التفسير لغة: مصدر على وزن تفعيل، مأخوذ من الفعل الثلاثي فَسَرَ، والفعل الماضي من المصدر تفسير مضعَّف بالتشديد، وهو فسَّرَ، والجذر الثلاثي للكلمة هو: الفَسْرُ، وهو: الْبَيَانُ. فَسَر الشيءَ يفسِرُه، بالكَسر، ويفْسُرُه، بِالضَّمِّ، فَسْراً وفَسَّرَهُ: أَبانه، والتَّفْسيرُ مِثْلُهُ...، والفَسْرُ: كَشْفُ المُغَطّى، والتَّفْسير كَشف المُراد عَنِ اللَّفْظِ المُشْكل[21].

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله:" الفَسْرُ: إظهار المعنى المعقول...، والتَّفْسِيرُ في المبالغة كالفسر[22].

وقيل إنه مأخوذ من مقلوبه (سفر) تقول العرب: سفَرَت المرأةُ عَن وَجهِهَا: إذا كشفتْ النِّقابَ عَن وَجهِهَا تَسفِر سفُوراً، وَمِنْه يُقَال: سفَرْتُ بَين القومِ أسفِر سفَارَةً: إذا أصلحتَ بَينهم وكشفتَ مَا فِي قَلْب هَذَا وقلبِ هَذَا لتُصلح بَينهم[23].

ويلاحظ فيما سبق أن اشتقاق كلمة (فسر) تدل على معنى البيان والإيضاح والإظهار والكشف.

التفسير اصطلاحًا:

تباينت تعاريف العلماء للتفسير في معناه الاصطلاحي على وجوه عدة، فقد عُرِّف بتعريفات كثيرة بعضها موسعة وأخرى مختصرة، وبعضها بعيدة عن ماهيته؛ ونظرًا لضيق المجال سيكتفى بذكر التعريف المختار؛ فالتفسير هو: "**علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية**"[24].

وبعد عرض ما سبق للمعنى اللغوي والاصطلاحي للتفسير، نجد تقارب المعنى الاصطلاحي من المعنى اللغوي فالكشف عن المغطى هو بيان كما في التعريف اللغوي له، وكذا الكشف عن المعنى القرآني هو بيان كما في التعريف الاصطلاحي.

كما يتضح من خلال تعريف اللطائف والتفسير الفارق بينهما، فالتفسير: هو بيان معاني الآيات القرآنية، بينما اللطائف هي الوقوف عند تلك المعاني واستخراج الدلالات الخفية منها.

كما أن التفسير يكون بالمنقول وبالمعقول، بينما اللطائف تكون بالمعقول القائم على النظر والتأمل في المنقول الذي ترتب عليه فهم معنى الآية، فالتفسير هو وسيلة للوصول إلى اللطائف إذ لا تستخرج أي لطيفة إلا بعد معرفة معنى الآية الصحيح.

ثالثًا: تعريف البلاغة في اللغة والاصطلاح:

البلاغة لغة: مصدر مشتق من الفعل الثلاثي بَلَغَ، وهو الوصول إلى الشيء، تقول بلغت المكان، إذا وصلت إليه وقد تسمى المشارفة بلوغًا بحق المقاربة، والبَلَاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، مكانًا كان أو زمانًا، أو أمرًا من الأمور المقدّرة....، والبَلَاغ: الكفاية [25]، والبَلاغةُ: الفَصاحةُ، والبَلْغُ والبِلْغُ: البَلِيغُ مِنَ الرِّجَالِ. وَرَجُلٌ بَلِيغٌ وبَلْغٌ، وبِلْغٌ: حسَنُ الْكَلَامِ فَصِيحُه يُبَلِّغُ بِعِبَارَةِ لِسَانِهِ كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ" [26].

وهكذا نرى أن الدلالة اللغوية للبلاغة تتمحور حول الوصول، أو مقاربة الوصول، والانتهاء إلى الشيء والإفضاء إليه.

البلاغة اصطلاحًا: عرّفها علماء البلاغة بتعريفات عديدة منها:

1. البلاغة هي: "الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل "[27].
2. البلاغة: "هي كلُ ما تبلغُ به المعنى قلبَ السامعِ فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورةٍ مقبولةٍ ومعرضٍ حسنٍ" [28].
3. "البلاغة في الكلام: مطابقته لمقتضى الحال، والمراد بالحال: الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحته، أي فصاحة الكلام"[29].

والتعريف الأخير هو أحسنها؛ إذ يراعى في الكلام البليغ المقام، فهو الاعتبار المناسب لوصفه بليغًا.

رابعًا: التعريف الإجرائي لعنوان البحث المركب.

وبعد أن عرّفت كل مصطلح من مصطلحات البحث مفردًا لغة واصطلاحًا واتضحت رؤيته الدلالية، **تأتي الباحثة بتعريف مركب لطرق اللطائف التفسيرية البلاغية، وترى المقصود به:**

هو النظر في السُبل التي سلكها العلماء للوصول إلى دقائق المعاني المستوحاة من تركيب نظم الجملة القرآنية، والتي استنبطت نتيجة تأمل وإمعان فكر ودقة نظر، فأثرت في النفوس، وكشفت عن الإعجاز البلاغي المتجدد.

أو هو: التأمل في الطرق التي وقف عندها العلماء لاستخراج المعاني الخفية، واللفتات الدقيقة، التي تكمن وراء اللفظة القرآنية، من حيث دقة تعبيرها، وبلاغة تركيبها، وحُسن نسقها، وجودة سبكها، وجمال نظمها وأسلوبها، والذي يتوصل إليها من خلال النظر الثاقب، والفكر الدؤوب، والتأمل القاصد.

طرق العلماء في استخراج اللطائف التفسيرية البلاغية.

توطئة:

إنّ اللطائف المودعة في مكنون النص القرآني يتطلب الوصول إليها دقة التأمل وإدامة البحث وإمعان النظر وقوة في الفهم والاجتهاد؛ وهي تحتاج إلى كل ذلك لخفائها وغموضها، تختلف العقول في إدراكها وتذوقها؛ لأنها مرحلة تأتي بعد إدراك المعنى العام، ولأن الأمر كذلك فإن فهمها يستلزم صفاءً في الذهن وصحة في الذوق ومعرفة بوجوه الكلام، قال ابن خلدون _رحمه الله_ في منزلة إدراك الإعجاز في كلام الله تعالى:" وإنما يُدرك بعض الشيء من الإعجاز من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي، وحصول ملكته، فيدرك من الإعجاز على قدر ذوقه؛ فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقامًا في ذلك؛ لأنهم فرسان الكلام وجهابذته، والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون واضحه..." (30).

والمتأمل في كتب المفسرين وطريقتهم في تأويل الآيات واستنباط لطائفها ودقائقها يلحظ تعدد طرائقهم وتنوع مسالكهم فيها، وقد أشار الإمام ابن عاشور _رحمه الله_ إلى بعض الطرق التي يستنبط منها اللطائف عند حديثه عن منهج المفسرين في تفسيرهم للآيات بقوله:" فطرائق المفسرين للقرآن ثلاث، إما الاقتصار على الظاهر من المعنى الأصلي للتركيب مع بيانه وإيضاحه وهذا هو الأصل، وإما استنباط معان من وراء الظاهر تقتضيها دلالة اللفظ أو المقام ولا يجافيها الاستعمال ولا مقصد القرآن، وتلك هي مستتبعات التراكيب وهي من خصائص اللغة العربية المبحوث فيها في علم البلاغة ككون التأكيد يدل على إنكار المخاطب أو تردده، وكفحوى الخطاب ودلالة الإشارة واحتمال المجاز مع الحقيقة، وإما أن يجلب المسائل ويبسطها لمناسبة بينها وبين المعنى، أو لأن زيادة فهم المعنى متوقفة عليها، أو للتوفيق بين المعنى القرآني وبين بعض العلوم مما له تعلق بمقصد من مقاصد التشريع؛ لزيادة تنبيه إليه، أو لرد مطاعن من يزعم أنه ينافيه لا على أنها مما هو مراد الله من تلك الآية بل لقصد التوسع"(31).

وفي هذا البحث سيتم التعرف على طرق العلماء في استخراج اللطائف التفسيرية البلاغية من كتاب الله تعالى، وقد ظهر لي من خلال النظر في كتب التفسير ومنهج مؤلفيها عند عرضهم للطائف أن هناك طرقًا كثيرة متنوعة يسلكونها للوصول إلى اللطائف البلاغية، ستذكرها الباحثة في المباحث الآتية:

المبحث الأول: الطرق اللغوية

المطلب الأول: النظر في الدلالة اللغوية للفظة القرآنية.

آيات القرآن الكريم تتألف من المفردات وتراكيبها، ولكل مفردة دلالتها التركيبية والوظيفية، والعلماء أثناء بحثهم عن سر انتقاء التعبير القرآني للفظة معينه دون سواها في موضع ما في القرآن الكريم قد دققوا وتأملوا في دلالات الألفاظ، فتتبعوا جذر اللفظة واشتقاقها اللغوي ليصلوا إلى المعنى الذي يحتمله السياق؛ كون المفردة القرآنية ذات ثروة دلالية واسعة، فاستطاعوا من خلال ذلك استلهام اللطيفة التي يكتنزها النص القرآني؛ إذ في بيان أصل الكلمة بيان لدقة التعبير بها في السياق القرآني، فالبحث عن مدلول اللفظ مهم وإغفاله وجهله قد يؤدي إلى وقوع خطأ في الفهم والتدبر.

فمعرفة ألفاظ القرآن: أصولها وجذورها واشتقاقها ومعانيها من أهم السبل لتذوق لطائف القرآن البلاغية والوقوف على إعجاز النظم الكريم، والإمام الراغب الأصفهاني _رحمه الله_ قد بيّن أهمية تتبع مادة الكلمة القرآنية ودلالاتها في مختلف الآيات، بل جعل ذلك منهجًا سار عليه في كتابه (المفردات في غريب القرآن) يقول موضحًا أهمية ذلك:" فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللّبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه، وليس ذلك نافعًا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كلّ علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرّعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة"[32].

وقد أشار إلى ذلك _أيضًا_ مصطفى صادق الرافعي_ رحمه الله_ وهو يتحدث عن بلاغة القرآن، وذكر وجوهًا يتحقق بها الإعجاز منها قوله: "ثم تدبر الألفاظ على حروفها وحركاتها وأصالتها ولحونها، ومناسبة بعضها لبعض في ذلك، والتغلغل في الوجوه التي من أجلها اختير كل لفظ في موضعه، أو عُدلَ إليه عن غيره، من حيث موافقته لمعنى الجملة ونظمها، ومن حيث دلالته في نفسه، وملاءمته لغيره، ثم النظرِ في روابط الألفاظ والمعاني من الحروف والصيَغ التي أقيمت عليها اللغة ووجه اختيار الحرف أو الصيغة، وموضع ذلك في الغناء والإبلاغ في الدلالة من سواه، ثم طريقة النسق والسرد في الجملة ووجه الحذف أو الإيجاز أو التكرار ونحوها، ما هو خاص بهذه الطريقة حسب ما توجهه المعاني، فإن كل ذلك في القرآن الكريم على أتمه.." [33].

شواهد ذلك:

- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: 1] جاء التعبير في هذا السياق بلفظ (النبوة) دون لفظ الرسالة، وعند النظر في مادة كلمة

(النبوة) يتضح سر ذلك التعبير، فلفظ النبأ في اللغة تدل على معنيين أصليين هما العلو والرفعة، قال الإمام الجوهري رحمه الله:" والنَبْوَةُ والنَباوَةُ: ما ارتفع من الأرض، فإنْ جعلت النَبِيَّ مأخوذاً منه، أي: أنه شُرِّفَ على سائر الخلق فأصله غير الهمز"[34]، فمن خلال نظرتهم لدلالة الكلمة استنبط المفسرون اللطيفة، وعللوا سر اختيار لفظ النبوة دون لفظ الرسالة في هذا المقام، فبينوا أن مجيء لفظ النبوة هنا للإشارة إلى علو مرتبته وجلالة منصبه _عليه الصلاة والسلام_، كما أن هذا اللفظ أقرب تلطفًا في بيان محبته وقربه من ربّه[35].

قد يقال في هذه اللطيفة: إن النبوة أخص من الرسالة، والرسالة أعم من النبوة، و لمّا كان موضوع الطلاق خاصًا اختار اللفظ الخاص على اللفظ العام لهذه المناسبة؛ إذ الطلاق من الأمور الأسرية الخاصة التي لا ينبغي أن تخرج إلى العامة، ومن تأمل ألفاظ النبوة في سياق كثير من الآيات يجد ذلك، ويمكن الرجوع في هذا إلى النداءات في سورة الأحزاب.

- في قوله تعالى: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: 11] ختمت فاصلة هذه الآية بصفة خبير دون غيرها من الصفات، وفي شأن ذلك يقول الإمام ابن عاشور رحمه الله:" وإيثار وصف خبير دون: عليم؛ لما تؤذن به مادة خبير من العلم بالأمور الخفية ليفيد أنه تعالى عليم بما ظهر من الأعمال وما بطن مثل أعمال القلب التي هي العزائم والنيات"[36].

فبيّن أن سر اختيار وصف خبير دون عليم راجع إلى مادة الكلمة، فكلمة خبير في اللغة يراد بها العلم بالشيء الخفي[37] فجاء هذا الوصف مناسبًا لسياق الآية الذي يتحدث عن الأعمال التي يقدمها المرء فيما يتعلق بالإنفاق والصدقة فكل هذه الأمور تأتِ بالخفاء لا يعلمها إلا الله ولا يعلم صدق نية العبد بها سواه، فيجازيه على ما قدم بناء على علمه_ تعالى_ السابق، فقد استنبط هذه اللطيفة اعتمادًا على تأمله في مدلول اللفظ إضافة إلى النظر في سياقها.

فالنظر في أصل الكلمة واشتقاقها من المعاجم المعتمدة هو سبيل الوصول إلى فهم سديد في تعيين الكلمة وهو أولى بتفسير الكلمة، فمعرفة أصل الكلمة تعين على فهم معناها الواسع.

المطلب الثاني: النظر في بنية اللفظة وصيغتها.

الألفاظ أوعية للمعاني ودالة عليها، فقوة اللفظ تدل على قوة معناه، فألفاظ القرآن الكريم ترد بصيغ متعددة كل صيغة تتناسب مع السياق والغرض التي رسمت لأجله، وهذا من جمال النظم القرآني الذي يستحيل أن نرى مثل تركيبه البديع وحسن سبكه وجمال رونقه في أي كتاب من كتب البشر مهما كانت قوة مؤلفه ورصانته الفكرية والعلمية وطلاقة لسانه وفصاحتها، فمن يتأمل في المفردة القرآنية وصيغها يجدها تتغاير من موضع لآخر، فتأتى صيغ التضعيف في المواضع التي

يتضمن سياقها شدة ويحتاج إلى جهد ويعتريه ثقل ومشقة، بينما تأتي صيغ التخفيف في السياق الذي لا يعتريه أي ثقل أو شدة أو لا يتطلب أي جهد نفسي أو مادي، والعلماء قد صاغوا لطائف عدة استلهموها من خلال نظرهم في بناء اللفظة وصيغتها.

شواهد ذلك:

- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: 31]

ورد فعل(قطّعن) بصيغة التضعيف؛ لدلالتها على التكرار والكثرة، فأفادت هنا تكرار التقطيع وكثرته في أيديهن لفترة طويلة.

قال الإمام ابن عطية رحمه الله:" وضوعفت الطاء في قَطَّعْنَ لكثرتهن وكثرة الحز فربما كان مرارا" (38).

- وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف:23] جاء الفعل هنا بصيغة التضعيف (غلّقت) على وزن فعلّت، وقد أشارت هذه الصيغة إلى لطيفة بلاغية وهي: أن تضعيف (غلّقت) أفاد شدة الفعل وقوته، فقد أغلقت الأبواب إغلاقًا محكمًا، وأشار إلى معنى آخر وهو ارتفاع الهمّة، وهذا يبعث في الذهن صورة الدّفع القوي للأبواب، فاللفظ له علاقة بالمعنى، فقد رسمت صيغة التضعيف معنى لا يمكن لأي صيغة أخرى أن تؤدي وظيفتها الدلالية التي قامت بها (39).

- ختام فواصل الآيات بصفات الله وأسمائه الحسنى بصيغ المبالغة كـ (غفور، رحيم، حليم، شكور، عليم، خبير...) جاءت تلك الصفات على وزن فعيل التي تشير إلى كثرة غفرانه وسعة رحمته وحلمه وعلمه وخبرته المطلقة في كل شيء.

فالقرآن يأتي لكل لفظ بصيغ تتناسب مع السياق الذي ورد فيه، والجو الذي يعيشه والمعنى الذي يقرره، فمن هذه الصيغ وغيرها استخرج المفسرون دررًا من لطائف القرآن النفيسة.

المطلب الثالث: التأمل في المتشابه اللفظي والمقارنة فيما بين المتشابهات.

ترد في القرآن الكريم آيات ومواضع تتشابه في موضوعها مع اختلاف يسير في طريقة سردها وترتيب كلماتها لمناسبة المقام ولحكمة بلاغية تتصل بأغراض وجو السورة، فاختيار الألفاظ وانتقاؤها في موضع دون الموضع الآخر المشابه له إنما أتى به على ذلك التركيب لخدمة المعنى الأساسي الذي دارت السورة حوله، وهو ما يُعرف عند العلماء بالمتشابه اللفظي والمقصود به هو:" أن تجيء الآيات القرآنية متكررة في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديمًا وتأخيرًا، وزيادة ونقصًا، وذكرًا وحذفًا، وتعريفًا وتنكيرًا، وإفرادًا وجمعًا، وإيجازًا وإطنابًا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى، ونحو ذلك، مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلا جهابذة العلماء وأساطين البيان"(40).

والمتشابه في القرآن الكريم هو سر من أسرار إعجازه القرآني، فوقوعه في القرآن الكريم أكبر دليل

على إعجازه البلاغي والبياني، وهذا ما أشار إليه الإمام الزركشي _رحمه الله_ عند حديثه عن الحكمة من وجود المتشابه في القرآن بقوله: "وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكررا"(41).

وقد عده الإمام السيوطي _ رحمه الله_ أحد وجوه إعجاز القرآن حيث قال: "الوجه السادس من وجوه إعجازه (مُشْتَبِهات آياته)" (42).

وقد تتبع العلماء قديمًا وحديثًا متشابهات الآيات، واهتموا بتوجيهها، وذلك ببيان علل تكرار الآيات المتشابهات، والبحث وراء سر اختلاف نظائر الآيات سواء في الترتيب أو في التركيب، ومن ثم المقارنة بينها مقارنة غائرة، استطاعوا من خلال ذلك استنباط ما حوته تلك الآيات المتشابهة لفظًا المتغايرة معنًى من لطائف آسره.

شواهد ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [التغابن: 9] ورد متشابه هذه الآية في سورة التغابن في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[الطلاق: 11]، ونلاحظ أن الآيتين تتحدثان عن الوعد والثواب المترتب على الإيمان المقرون بالعمل الصالح، ونجد أن الآية الأولى كان من جملة الموعود به تكفير السيئات، لكن في الآية الثانية لم يذكر ذلك، وقد تتبع العلماء سر ذكر تلك الزيادة في موضع دون نظيره وقارنوا بينهما حتى اهتدوا بذلك إلى لطيفة، قال الإمام الفيروز آبادي رحمه الله: " قوله: ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ ومثله في الطَّلاق سواءً؛ لكنَّه زاد هنا ﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ ﴾؛ لأَنَّ هذه السّورة بعد قوله: ﴿ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ﴾[التغابن: 6]، فأَخبر عن الكفَّار بسيِّئات تحتاج إِلى تكفير إذا آمنوا بالله، ولم يتقدّم الخبر عن الكفار بسيِّئات في الطلاق فلم يحتج إِلى ذكرها"(43).

ولأن تكفير السيئات قد تقدم في الآيات التي قبلها.

- في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: 23] نظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: 38] حيث أتى بحرف الجر في سورة البقرة وحذفه في سورة يونس، وقد تطرق الإمام الرازي_رحمه الله_ إلى بيان السر من وراء ذلك الحذف وخرج من خلال المقارنة بين الآيتين بلطيفة بيّنها بقوله: "لم قال في سورة البقرة: ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ وقال هاهنا: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾، والجواب: أن محمدًا _عليه السلام_ كان رجل أميًا، لم يتلمذ لأحد ولم يطالع كتابًا فقال في سورة البقرة: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ يعني فليأت

إنسان يساوي محمدًا _عليه السلام_ في عدم التتلمذ وعدم مطالعة الكتب وعدم الاشتغال بالعلوم بسورة تساوي هذه السورة، وحيث ظهر العجز ظهر المعجز فهذا لا يدل على أن السورة في نفسها معجزة، ولكنه يدل على أن ظهور مثل هذه السورة من إنسان مثل محمد _عليه السلام_ في عدم التتلمذ والتعلم معجز، ثم إنه تعالى بيّن في هذه السورة أن تلك السورة في نفسها معجز، فإن الخلق وإن تتلمذوا وتعلموا وطالعوا وتفكروا، فإنه لا يمكنهم الإتيان بمعارضة سورة واحدة من هذه السور، فلا جرم قال تعالى في هذه الآية: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ ولا شك أن هذا ترتيب عجيب في باب التحدي وإظهار المعجز"[44].

ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: 190] ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾[يونس:6] قدم في الآية الأولى خلق السموات، وأخر عنه في يونس؟ وسبب ذلك أن في سورة آل عمران لما قال في الآية التي قبلها ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: 189] أتبعه بخلقها، ثم بـ: ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ ، وفي سورة يونس لما قال في الآية التي قبلها ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾[يونس: 5] إلى قوله: ﴿ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾، وإنما ذلك باختلافهما: ناسب ذلك اتباعه بذكر اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ[45].

تبيّن من خلال مقارنة العلماء بين متشابهات الآيات وتوجيهها أهمية المتشابه وأثره في الفهم والتحليل والاستنباط والكشف عن لطائف القرآن البلاغية.

المبحث الثاني: الطرق المتعلقة بالعلوم القرآنية.

المطلب الأول: النظر في السياق القرآني للآيات.

يفهم مراد المتكلم ومغزاه من سياق كلامه، وفي ضوئه تبنى الأفعال وتصدر الأحكام ويقع الاختيار، وقد عرفنا سابقًا أن للسياق القرآني دورًا كبيرًا في فهم المعنى المراد من الآية، واستنباط الدلالات الغائرة وراء النص القرآني؛ ذلك "لأن مقتضى البلاغة ارتباط الكلام بسابقه ولاحقه ارتباطًا يحوي المعنى ويضمه دون انفصال أو تشتت، بل مع حسن انتقال وتدرج في مراقي المباني والمعاني"[46].

فاللفظة القرآنية تنطوي تحتها دلالات متعددة فلا يتحدد المراد منها إلا إذا نظر إليها في ضوء سياقها، فهو يعد من أكبر العوامل المحددة للدلالة ومعرفة أي مدلولاتها أولى بالتقديم والقبول؛ لذا كان السياق محط أنظار المفسرين والمتدبرين، حاضرًا في أذهانهم أثناء تفسيرهم وتدبرهم لكتاب لله، فقد تأملوا في الآيات والجمل القرآنية وارتباطها بما قبلها و بما بعدها، وقارنوا بين السياقات المختلفة في الجمل القرآنية، فأنار لهم ذلك قناديل

من اللطائف والدقائق المحتجبة تحت ستار اللفظة القرآنية، وظهر لهم وجه من وجوه إعجازه المتجدد.

فالإمام الزركشي _رحمه الله_ عند كلامه عن وجوه تفسير القرآن وتأويله، قد عدّ السياق إحدى طرق تفسير القرآن وتأويله، بل جعله العمدة في توجيه الدلالات واستنباط أسرارها حيث قال "واعلم أن القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره وقسم لم يرد...، الثاني: ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين وهو قليل وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيرًا في كتاب المفردات فيذكر قيدًا زائدًا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ؛ لأنه اقتنصه من السياق"(47).

وشيخ الإسلام ابن تيمية _رحمه الله _ قد وجه المتدبر في كتاب الله إلى النظر في السياق السابق واللاحق للآية حتى يقف على حقائقها ولطائفها ودقائقها بقوله:" فتأمل ما قبل الآية وما بعدها يطلعك على حقيقة المعنى"(48).

فكلام العلماء السابق يوحي بمدى اهتمامهم البالغ بالسياق سواء في بيان المعنى تفسيرًا أو ما كان زائدًا عن البيان ويدخل فيه اللطائف _استنباطًا_، وأكبر شاهد على ذلك اعتمادهم على السياق عند تفسيرهم للآية في المعنى الظاهر والباطن_ وهو ما يتعلق بالتأويل الداخل في التدبر_ فقد فهموا المعنى ووجهوه ورجحوا معنى على آخر بناء عليه، إضافة إلى ذلك أن النظر في سياق الآيات، وعقد المقارنة بينها سواء فيما يتعلق بالتقديم والتأخير أو الحذف والذكر أو في الإفراد والجمع والتثنية أوفي غير ذلك مما يستدعى أن يكون السياق هو الحاكم فيها مكنهم من الوصول إلى تلك اللطائف المودعة بين النصوص القرآنية، فالشواهد على ذلك كثيرة جدًا يصعب حصرها، وسأكتفي ببعضها التي يظهر من خلالها دور السياق في استنباط اللطائف البلاغية منه.

شواهد ذلك:

- في قوله تعالى: ﴿ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾[التغابن:2] يلاحظ في هذا الموضع تقديم لفظ الكافر على لفظ المؤمن، وبيّن العلماء أن سر ذلك التقديم راجع إلى السياق، فقدم لفظ الكافر؛ لأنه الأنسب والأهم للمقام، فالمقام هنا مقام توبيخ للذين أشركوا بالله فقد كفروا بوحدانيته_ تعالى_ وجحدوا بنعمه وبدلائله التي تنزهه تعالى عن كل نقص وعيب نسبوه إليه، وأيضًا أن الشق الأول من السورة كان الحديث عنهم تعريضًا وتصريحًا، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التغابن:5] وما بعدها فلأن سياق السور أغلبه يتحدث عن الكفار قدم ذكرهم (49).

- في قوله تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن:8] تتغاير فواصل الآيات القرآنية من موضع لآخر، وحين نتأمل في سياق كل آية يتضح لنا سر ختام كل فاصلة باللفظ الذي وضع لها، فمثلًا في هذه الآية ختمت فاصلتها بصفة (خبير)، ولم يأتِ بصفة

(بصير) كما في الآية الثانية من هذه السورة في قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾؛ وذلك لأن سياق الآيتين مختلفان تغايرت فواصلهما؛ فجيء هنا بصفة (خبير)، لأن الخبير_ كما تقدم_ هو العليم بلطائف الأمور ودقائقها، والإيمان كثير من أركانه معتمد على الاعتقادات القلبية، وهذه غائبة عن الخلق ولا تظهر للناس وهي لطيفة، فكان الختام بلفظ (خبير)، وقد بيّن هذه اللطيفة الإمام ابن عاشور _ رحمه الله_ بقوله" وجيء هنا بصفة «الخبير» دون: البصير؛ لأن ما يعلمونه منه محسوسات ومنه غير محسوسات كالمعتقدات، ومنها الإيمان بالبعث، فعلق بالوصف الدال على تعلق العلم الإلهي بالموجودات كلها، بخلاف قوله فيما تقدم ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن: 2] فإن لكفر الكافرين وإيمان المؤمنين آثارا ظاهرة محسوسة فعلقت بالوصف الدال على تعلق العلم الإلهي بالمحسوسات" (50).

- جاء ذكر المشرق والمغرب في القرآن الكريم تارة بالجمع وأخرى بالتثنية وأخرى بالإفراد، فالجمع كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج: 40]، والتثنية في قوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن: 17]، والإفراد كما في قوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: 9].

وقد بحث العلماء عن سر مجيء لفظي المشرق والمغرب بصيغ مختلفة بين الإفراد والتثنية والجمع، وذكروا أن سياق السورة له أثر في ورود الكلمتين بهذه الصيغ الثلاث، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله:" ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ يعني: مشرقي الصيف والشتاء، ومغربي الصيف والشتاء، وقال في الآية الأخرى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج: 4]، وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم، وبروزها منه إلى الناس، وقال في الآية الأخرى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل:9] وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب"(51).

و يقول الإمام الزركشي رحمه الله:" أما ما ورد مثنى في سورة الرحمن فلأن سياق السورة سياق المزدوجين"(52).

ـــ في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: 124] سياق هذه الآية جاء لتخطئة المفاخرين بدينهم بالأماني بعدما قال في الآية التي قبلها ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: 123] ونجد في هذه الآية تقديم العمل على الإيمان على غير عادته، إذ إن المعتاد في أغلب مواضع القرآن يقدم الإيمان على العمل، ومعلوم أن القاعدة الأساسية في التقديم والتأخير هي: أن يقدم الأهم الذي يقتضيه السياق لا الأهم في ذاته،

فالسياق هنا لبيان أن العبرة بالعمل بالدين، لا بالانتماء إليه وإلى الرسول الذي جاء به والفخر بذلك، فقدم ذكر العمل على الإيمان [53].

وهكذا كان المفسرون كلما أعملوا أنظارهم في السياق وأمعنوا فيه، تفتح لهم من اللطائف والدرر القرآنية ما يصعب حصره.

المطلب الثاني: النظر في المناسبات.

يُعرّف علم المناسبات بأنه: "علم تُعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما اقتضاه الحال" [54] وهو علم عظيم؛ إذ يسهم في فهم مراد الله تعالى في كتابه العظيم، ويساعد على حسن التأويل، ويدرك من خلاله جمال اتساق المعاني بين الآيات، وتلاؤم ألفاظها، وترابط أفكارها، كما يعد مفتاحًا لمعرفة الحِكم والأسرار وراء الترابط بين الآيات بعضها ببعض بصورة يظهر روعة انسجام الآيات وتناسقهما على الرغم من نزوله منجمًا، كما أن إعمال النظر في مناسبات الآيات يكشف لنا عن معان جديدة، ويستنبط من طياتها الكثير من اللطائف، بحيث يهتدي به المفسر في استخراجها، والدليل على ذلك قول الإمام الرازي_ رحمه الله_ في تفسيره:" "إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[55]، وقال أيضًا في تفسير سورة البقرة: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها، علِم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضًا بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير متنبهين لهذه الأسرار، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل[56]:

وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الأَبْصَارُ صُورَتَهُ وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لاَ لِلنَّجْمِ فِي الصِّغَرِ"[57].

فعلم المناسبات علم في غاية النفاسة؛ إذ يتحقق به وجه من وجوه الإعجاز؛ ولعظم قدره حصر بعض العلماء وجوه الإعجاز البلاغي في هذا العلم كالإمام أبي بكر النيسابوري_ رحمه الله_ حيث قال:" إن إعجاز القرآن البلاغي لم يرجع إلا إلى هذه المناسبات الخفية والقوية بين آياته وسوره، حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة ترتيبًا وتماسكًا"[58].

وقد بيّن الإمام البقاعي _رحمه الله_ أن علم المناسبات يكشف عن إعجاز القرآن من جانبين حيث قال: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللّب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب"[59].

ولأهمية هذا العلم لم يغفل عنه المفسرون عند تذوقهم وتدبرهم للآيات لا سيما عند المهتمين به أمثال الإمامين الرازي والبقاعي_ رحمهما الله_ إذ كان معظم اللطائف التي استخرجوها من خلال تدقيق أنظارهم في المناسبات سواء بين السور، أو الآيات، أو المفردات والجمل التي تتركب منها الآية القرآنية، أو فاتحة الآية وخاتمتها أو غير ذلك من أنواع المناسبات.

شواهد ذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾[النساء: 58] افتتح الله _تعالى_ هذه الآية بالأوامر فبدأ بأمر المسلمين بأداء الأمانة، ثم أعقب بالأمر الثاني وهو الحكم بين الناس بالعدل، وجاء هذا الترتيب العجيب والتناسب البديع بين الأمرين للطيفة وضحها الإمام الرازي _رحمه الله_ بقوله" اعلم إذا وجب لغيرك عليك حق فأديت ذلك الحق إليه فهذا هو الأمانة، والحكم بالحق عبارة عما إذا وجب لإنسان على غيره حق فأمرت من وجب عليه ذلك الحق بأن يدفعه إلى من له ذلك الحق، ولما كان الترتيب الصحيح أن يبدأ الإنسان بنفسه في جلب المنافع ودفع المضار ثم يشتغل بغيره، لا جرم أنه تعالى ذكر الأمر بالأمانة أولا، ثم بعده ذكر الأمر بالحكم بالحق، فما أحسن هذا الترتيب، لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[(60)].

ـ قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨]، وقال تعالى في الآية التي بعدها: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [الصف: 9].

ختمت فاصلة الآية الأولى بلفظ (الكفر) بينما ختمت فاصلة الآية الثانية بلفظ (الشرك)، وقد أرجع العلماء السر في ذلك إلى المناسبات، فختام الآيتين جاء مرتبطًا بما يتناسب مع موضوعهما إذ بينهما ارتباط وتناسب واضح، فالآية الأولى تتحدث عن إطفاء النور فناسب أن تختم بلفظ الكفر؛ لأن الكفر في اللغة الستر، والستر لا يكون إلا في خفاء وأشد الخفاء هو الظلام، والآية الثانية تتحدث عن رسالة محمد _عليه الصلاة والسلام_ وظهورها على سائر الأديان فأتى بلفظ الشرك؛ لأن الحديث موجهه للمشركين.

قال الإمام المراغي رحمه الله:" وإنما قال أوّلا: ولو كره الكافرون، وقال ثانيًا ولو كره المشركون؛ لأنه ذكر أولًا النور وإطفاءه فاللائق به الكفر؛ لأنه ستر وتغطية، وذكر ثانيًا الحاسدين للرسول_ عليه الصلاة والسلام_ وأكثرهم من قريش، فناسب ذكر المشركين"[(61)].

ـ المناسبة بين سور القرآن كالتناسب بين سورتي الكوثر والماعون، وقد أشار إلى وجه التناسب العجيب بينهما الإمام الرازي_ رحمه الله_ حيث قال: "اعلم أن هذه السورة_ أي الكوثر_ على اختصارها فيها لطائف: إحداها: أن هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة؛ وذلك لأن في السورة المتقدمة وصف الله تعالى المنافق بأمور أربعة: أولها: البخل وهو المراد من قوله: ﴿ يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾ [الماعون: 2، 3] الثاني: ترك الصلاة وهو المراد من قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: 5]، والثالث: المراءاة في الصلاة هو المراد من قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴾ [الماعون: 6]، والرابع: المنع من الزكاة وهو المراد من قوله: ﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾ [الماعون: 7]، فذكر في هذه السورة في مقابلة تلك الصفات

الأربع صفات أربعة، فذكر في مقابلة البخل قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[الكوثر: 1] أي: إنا أعطيناك الكثير، فأعط أنت الكثير ولا تبخل، وذكر في مقابلة: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ قوله:﴿ فَصَلِّ ﴾ أي: ادم على الصلاة، وذكر في مقابلة: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾قوله﴿لِرَبِّكَ﴾ أي: ائت بالصلاة لرضا ربك، لا لمراءاة الناس، وذكر في مقابلة: ويمنعون الماعون قوله:﴿ وَٱنۡحَرۡ ﴾[الكوثر: 2] وأراد به التصدق بلحم الأضاحي، فاعتبر هذه المناسبة العجيبة، ثم ختم السورة بقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: 3] أي: المنافق الذي يأتي بتلك الأفعال القبيحة المذكورة في تلك السورة سيموت ولا يبقى من دنياه أثر ولا خبر، وأما أنت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل، وفي الآخرة الثواب الجزيل"[62].

لاحظنا من خلال الشواهد القرآنية كيف جَنى العلماء أطيب اللطائف من خلال مراعاتهم لجوانب الربط بين الآيات والسور بشتى أنواع المناسبات، ما يزيدنا يقينًا أن القرآن الكريم من أوله إلى آخره متين الأسلوب قوي الاتصال آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته متصلة بعضها ببعض، كأنه سبيكة واحدة ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك، فأوله يتناسب مع آخره، وهذا يدل على أنّ الإعجاز يجري في القرآن الكريم كله من ألفه إلى يائه[63].

المطلب الثالث: التأمل في الرسم القرآني.

القرآن الكريم معجز بجميع الوجوه، فكما أنه معجز في ألفاظه وأسلوبه ونظمه وبيانه هو أيضًا معجز في رسم حروفه وكلماته، فرسم القرآن الكريم جاء مناسبًا لحال الأمة الأمية في ذلك العصر، وذلك لا ينقص من إعجازه شيء؛ لأنه معجز في ذاته، وقد رسمت كلمات الله وأحرفه بصور مختلفة يحمل رسم كل كلمة دلالات متنوعة ومضامين إعجازية ليس في غيرها، فنجد اللفظة ذاتها تتغاير من موضع لآخر بحذف حرف أو زيادة حرف أو إبدال حرف مكان حرف آخر أو غير ذلك من ظواهر الرسم العثماني كما وضحها العلماء[64] كل ذلك لأغراض متنوعة وحِكم وأسرار بلاغية وأخرى أوكل علمها إلى الله.

والنظر في رسم الكلمة هو مفتاح لفهم كتاب الله، ووسيلة للتدبر في أغواره، والوقوف على وجه جديد من وجوه الإعجاز البياني وهو الإعجاز الخطي في رسم الكلمات، وقد أدرك العلماء أثر الرسم القرآني في فهم المعنى واستنباط لطائف، فتأملوا في دلائل الرسم القرآني ومكنهم ذلك الوقوف على درر من اللطائف والدلالات، فانفراد الكلمة القرآنية على رسم خاص بها يشير إلى لطائف وأسرار خفية تدل عليه تدفعنا إلى الدهشة والعجب.

شواهد ذلك:

ـ تحذف الواو اكتفاء بالضمة للتخفيف، ولا تحذف ما كانت ثابتة في الكلمة، وقد سقطت الواو من أربعة أفعال في مواضع في القرآن للطيفة اقتضى مجيئها على هذا الرسم، وهي: لبيان سرعة

وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل للتأثر به في الوجود، فالأول في قوله تعالى: ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[العلق: 18] حذف الواو للدلالة على سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش، والثاني في قوله تعالى:﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ﴾ [الشورى: 24] حذف الواو علامة على سرعة المحو وقبول الباطل له بسرعة أيضًا أو للإشارة إلى سرعة ذهاب الباطل وتلاشيه، والثالث في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ [القمر:9] حذف الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة، والرابع في قوله تعالى:﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ﴾ [الإسراء: 11] حذف الواو للدلالة على أن الإنسان يسارع في الشر كما يسارع في الخير، كذلك إتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير[65].

ـ حذف الياء في قوله تعالى:﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: 62] وثبوتها في قوله تعالى:﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[المنافقون: 10] ومجيء اللفظة نفسها تارة بحذف الياء وتارة بثبوتها للطائف استنبطها العلماء بناء على سياقها ومضمونها، وبيان ذلك من وجوه:

الأول: اختلاف دلالة التأخير في موضع الحذف عن دلالته في موضع الثبوت، فالتأخير في الموضع الأقل هو تأخير بالمؤاخذة لا التأخير الحسي فهو على غير حال ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ ﴾؛ لأن هذا التأخير حسي في الدنيا الظاهرة.

الثاني: طلب التأخير في موضع الحذف قد تحقق بدليل الآية التي بعدها ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ [الإسراء: 63] أما التأخير في موضع الثبوت فلم يتحقق بدليل تقرير الآية التي بعدها:﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون:11].

الثالث: طالب التأخير في موضع الحذف هو إبليس والهدف منه لا خير فيه؛ إذ يهدف إلى إغواء الناس، أما طالب التأخير في موضع الثبوت هم المؤمنون وطلبهم فيه خير ومنفعة.

الرابع: السياق الزمني للتأخير في موضع الحذف يوحي بطول المدة الزمنية بدليل قوله تعالى:﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾، أما السياق الزمني في موضع الثبوت يوحي بقصر المدة الزمنية بدليل قوله تعالى:﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾.

الخامس: انسجم ثبوت الياء مع تردد فعل التأخير في آية (المنافقين)، إذ تردد مرتين، أما موضع الحذف في آية (الإسراء) فقد ذكر مرة واحدة فزاد في موطن الزيادة وحذف في موطن الاجتزاء[66].

يلاحظ من خلال الشواهد السابقة دور الرسم القرآني في إظهار إعجاز القرآن البلاغي، والكشف عن الوجوه البيانية فيه منها اللطائف المستنبطة من رسم بعض ألفاظ القرآن الكريم خلافًا للقياس.

المطلب الرابع: التأمل في الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد.

لا شك أن تفسير القرآن بالقرآن هو أقوى الطرق التي يعتمد عليها المفسرون في تفسير كتاب الله؛ إذ لا يعلم بمراد الله_ تعالى_ سواه، لذا نظر المفسرون في نصوص الآيات ولا سيما ذات الموضوع الواحد، وجمعوا بينها وقاموا بتحليلها حتى خرجوا بالمعنى الذي يتضمنه كل نص بما يدفع التعارض كما قد يتوهم عند بعض الدارسين، وهذه الطريقة لم يكتف بها في مجال بيان المعنى المراد من الآية فحسب، بل حتى في مجال التدبر والاستنباط، إذ إن الملاحظ على المفسرين عند استنباطاتهم للطائف القرآنية يأتون بما يؤيد المعنى المستنبط من الآيات القرآنية، فيستحضرون ما يعضدها ويدل عليها من نصوص أخرى، فساعدهم ذلك على الوصول إلى اللطائف التي يتضمنها النص القرآني، إضافة إلى ذلك الاستئناس بها، فالإتيان بما يدل على اللطيفة بدليل نص آخر أقرب للصواب وأدعى للاطمئنان.

شواهد ذلك:

ــ في قوله تعالى: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الصف:12] تحدث الله_ تعالى_ في هذا الآية عن نعيم وثواب المؤمنين به والمجاهدين في سبيله، المتضمن غفرانه لذنوبهم وإدخالهم لجناته، وقد اختص الله_ عز وجل_ من ذكر نعيم الجنة المساكن الطيبة دون غيرها من النعم، وسر ذلك الاختصاص قد وجهه الإمام ابن عاشور_ رحمه الله_ بقوله:" وإنما خصت المساكن بالذكر هنا؛ لأن في الجهاد مفارقة مساكنهم، فوعدوا على تلك المفارقة المؤقتة بمساكن أبدية، قال تعالى:﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾إلى قوله:﴿ وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ ﴾ [التوبة: 24]" (67).

فمن خلال تأمل الإمام ابن عاشور _ رحمه الله_ للآية التي في سورة التوبة والاستدلال بها استنبط تلك اللطيفة البليغة الموجودة في آية سورة الصف.

ـ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[التغابن:15] علل المفسرون سبب تقديم المال على الولد في هذا السياق بأنه لما كانت فتنة المال أعظم من فتنة الولد قدم المال، وقد استفادوا هذا المعنى المستنبط من خلال تأملهم في الآيات التي اهتمت في أكثر من موضع ببيان فتنة المال والتحذير من الانشغال به إلى درجة الهلاك كقوله تعالى:﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾[الفتح:11]، ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: 6، 7] والقاعدة الأساسية في التقديم والتأخير، أنه يقدم الأهم في السياق(68).

ــ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: 9]، [التغابن:16]، أسند الشح إلى النفس في الموضعين؛ لأنه غريزة فيها، وقد استفاد المفسرون هذه اللطيفة بما يدل

عليها قوله تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ [النساء: 128](69).

المطلب الخامس: النظر في اختلاف القراءات ومعانيها.

تعد القراءات القرآنية منبعًا مهمًا في بيان معاني القرآن الكريم، وطريقًا نيرًا للوقوف على لطائفه وأسراره، فالقرآن الكريم قد قرأ بأكثر من قراءة وكلها قراءات متواترة صحيحة، فالكلمة الواحدة قد تقرأ على أوجه مختلفة تتعدد فيها المعاني المستفادة من الآية، وتوسع دائرة الفهم لمراده تعالى، وهذا وجه من وجوه الإيجاز الذي يفضي إلى كمال الإعجاز القرآني، والرجوع إلى تلك القراءات في تفسير الآية يعد من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، وقد أكد بعض العلماء أن على المفسر بيان اختلاف القراءات المتواترة ليصل إلى معنى الآية، وفي ذلك يقول الإمام ابن عاشور رحمه الله:" وأنا أرى أن على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة؛ لأن في اختلافها توفيرًا لمعاني الآية غالبًا فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن"(70).

والاختلاف الواقع بين القراءات المتواترة ليس اختلاف تضاد إنما هو تنوع وإثراء لدلالات اللفظ، لذا فكل قراءة من القراءات تحمل دلالات ومضامين إعجازية لا تعارض غيرها ولا تخالفها بل كله يصدق بعضه بعضًا، ويؤيد أوله أخره، وآخره أوله، فهو معجز بجميع وجوه قراءاته، قال الإمام ابن الجزري رحمه الله:" "وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها، فإن في ذلك فوائد غير ما قدمناه من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة، ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل، فكل قراءة من القراءات تتضمن وجهًا من وجوه الإعجاز ليس في غيرها، وكونه معجز بجميع قراءاته ووجوها تعددت معجزاته وتنوعت... ومنها إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته، وإنعامهم النظر وإمعانهم الكشف عن التوجه والتعليل والترجيح، والتفصيل بقدر ما يبلغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم"(71).

وقال الإمام الثعالبي _رحمه الله_ أيضًا في شأن اختلاف القراءات:" إن تنوّع القراءات، يقوم مقام تعدّد الآيات وذلك ضرب من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز، أضف إلى ذلك ما في تنوّع القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضادّ، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوّع قراءاته، يصدّق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه

لبعض، على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سموّ الهداية والتعليم، وذلك- من غير شك- يفيد تعدّد الإعجاز بتعدّد القراءات والحروف.

ومعنى هذا: أن القرآن يعجز إذا قرئ بهذه القراءة، ويعجز أيضا إذا قرئ بهذه القراءة الثانية، ويعجز أيضًا إذا قرئ بهذه القراءة الثالثة، وهلمّ جرّا، ومن هنا تتعدّد المعجزات بتعدّد تلك الوجوه والحروف"[72].

وقد تتبع العلماء القراءات، فوقفوا عند كل كلمة قرأت على أكثر من وجه، واهتموا بتوجيهها، فتفتحت لهم أزهار من اللطائف كانت نتاج تأملهم في اختلاف القراءات وتدبرهم لمعانيها.

شواهد ذلك:

ـــ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التغابن: ففي كلمتي: ﴿يُكَفِّرْ﴾، ﴿وَيُدْخِلْهُ﴾ قراءتان:

الأولى: بالياء في الكلمتين، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم في رواية غير المفضل وحمزة والكسائي ويعقوب.

الثانية: بالنون في الكلمتين وهي قراءة نافع وابن عامر وأبو جعفر وعاصم في رواية المفضل[73].

أمّا وجه القراءة الأولى: بياء الغيبة (يكفر، يدخله) على مقتضى الظاهر؛ لأن ضمير الجلالة يؤذن بعناية الله بهذا الفريق.

وفي القراءة الثانية بنون العظمة (نكفر، ندخله) على الالتفات من الغيبة إلى التكلم؛ لأن مقام الوعد مقام إقبال فناسبه ضمير التكلم[74].

ـــ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[الصف: 8] تنوعت القراءات في قوله: ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾:

فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَحَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ، وَخَلَفٌ، وَحَفْصٌ (مُتِمُّ) بِغَيْرِ تَنْوِينٍ (نُورِهِ) بِالْخَفْضِ، وقَرَأَ نَافِع وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر (مُتِمٌّ) بِالتَّنْوِينِ (نوره) بِالنَّصْبِ[75].

وجه القراءتين:

ذكر ابن زنجلة _ رحمه الله_ توجيهًا لهما، حيث قال" وقد ذُكر فِيهَا وَجْهَان:

أَحدهمَا: أَن الإضافة قد استعملتها الْعَرَب فِي الْمَاضِي والمنتظر وَأَن التَّنْوِين لم يسْتَعْمل إِلَّا فِي المنتظر خَاصَّة فَلَمَّا كَانَا مستعملين وَقد نزل بهما الْقُرْآن أَخذ بِأَكْثَر الْوَجْهَيْنِ أصلا.

وَالْوَجْه الآخر: أَن يُرَاد بِهِ التَّنْوِين ثمَّ يحذف التَّنْوِين طلبًا للتَّخْفِيف كَمَا قَالَ جلّ وَعز:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران:185]،[الأنبياء:35]، [العنكبوت: 57]، وَقَوله﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾[الصافات: 38]،﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الصف: 10]"[76].

فقد بيّن ابن زنجلة _رحمه الله_ أن الوصف إذا أضيف، دلّ على الماضي والحال والاستقبال، وإذا أُعمل ولم يُضف، دل على الحال والاستقبال فقط.

واعترض الدكتور فاضل السامرائي على الوجه الآخر من التوجيه الذي نقله ابن زنجلة_ رحمه الله_ عن النحاة، على أن فائدة الإضافة ترجع إلى اللفظ، أي: فائدة لفظية، لتخفيف النطق به.

وذكر أن للإضافة_ أيضًا_ أغراضًا كما للإعمال، بقوله: "والتحقيق أنّ لكل تعبير غرضًا لا يؤديه الآخر، فالإعمال نص في الدلالة على الحال أو الاستقبال، والإضافة ليست نصًا في ذلك، فإنّك إذا قلت: (أنا ضاربٌ محمدًا) كان ذلك دالًا على الحدث في الحال أو الاستقبال، قال تعالى:﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[ص:71، 72]، فهو للاستقبال، أمّا الإضافة فليست نصًا في هذا المعنى، بل تحتمل المضي والحال والاستقبال والاستمرار، قال تعالى:﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [إبراهيم:10] وهو ماض.

وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [الأنعام: 95، 96] وهو استمرار.

فالإضافة تعبير احتمالي، يحتمل أكثر من معنى، بخلاف الإعمال فإنه تعبير قطعي، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى أنه في الإعمال يكون الوصف ملحوظًا فيه جانب الحدث وقربه من الفعلية، في حين أنه في الإضافة يكون ملحوظًا فيه جانب الاسمية؛ وذلك أنّ الإضافة من خصائص الأسماء، أمّا أخذ الفاعل والمفعول، فالأصل فيه للفعل، فأنت تقول (هذا بائعٌ السمكَ)، بمعنى (يبيع)، وتقول،: (رأيت محمدًا آكلاً التفاحة) بمعنى (يأكلها) فإذا قلت: (هذا بائع السمكِ وآكلُ التفاح) بالإضافة دلّ على الذات كما تقول: (مالك الدار)...، وتقول: (هذا ضرّابٌ الرؤوس) فتلحظ فيه معنى الفعلية، وتقول: (هذا بياعُ الفاكهة) فتلحظ جانب الاسمية كما تقول: هذا راويةُ الشعرِ وعلاّمةُ النحوِ.

فدلّ ذلك على أنّ الإعمال له غرض، والإضافة لها غرض، وليس المقصود بها مجرد التخفيف كما يذكر النّحاة"(77).

فقد ذكر الدكتور السامرائي من خلال كلامه السابق غرضًا آخرًا إلى جانب ما ذكره ابن زجلة _رحمه الله_ وهو: أن الوصف إذا أعمل ولم يضف، ظهر فيه جانب الحدث وقربه من الفعل، وإذا أضيف، ظهر فيه جانب الاسمية أكثر.

كما لاحظنا أن كل قراءة من القراءات التمسنا منها غرضًا بيانيًا لإكمال صورة المعنى الذي تهدف الآية إلى إبرازه في لفظ موجز، فمجيء القراءتين أو أكثر في كلمة واحده مع اختلاف دلالاتها ذلك هو منتهى الإعجاز، ودليل ساطع على كمال بلاغة القرآن الكريم.

المطلب السادس: الوقوف عند أسباب النزول للسورة أو للآية.

أسباب النزول أحد علوم القرآن وأشرفها؛ إذ العلم بالسبب يلزم منه العلم بالمسبب، وهو علم

يبحث فيه عن سبب نزول سورة أو آية، ووقتها ومكانها وأحوالها ووقائعها وملابساتها، والغرض منه: ضبط هذه الأمور[78] وهذا العلم له أهمية بالغة في معرفة تفسير القرآن العظيم، وكشف الغموض الذي يعتري بعض الآيات ومقاصدها على الوجه الصحيح، والجهل بأسباب النزول قد يؤدي إلى العجز عن تفسير القرآن وينتج عن ذلك استنباط خاطئ للآيات، ويكون عائقًا أمام تدبر آياته وتأملها واستخراج أحكامه وحكمه، قال الإمام الواحدي رحمه الله:" إذ هي_ أي أسباب النزول_ أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[79]، وقال ابن دقيق العيد رحمه الله:" بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"[80]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[81].

واذا كان معرفة أسباب النزول من خير السبل لفهم معاني القرآن، فإن دراسة هذا العلم له أثر كبير على بلاغة النظم القرآني والوقوف على أسراره؛ لأنه مرتبط بوجوه المناسبة بين الآيات، فلا يخفى ما في القرآن من بلاغة وبيان، بل إن أحد أوجه إعجاز القرآن ما فيه من فنون البلاغة التي لا توجد في كتاب غيره، وإحدى الطرق المهمة الموصلة إليها أسباب النزول، قال الإمام ابن عاشور _رحمه الله_ مؤكدًا أهمية أسباب النزول بمعناها العام في معرفة بلاغة النص القرآني:" ومنها_ أي أسباب النزول_ ما ينبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام"[82].

فعلم أسباب النزول يكشف عن أسرار البلاغة في القرآن العظيم؛ لما يفيده من تلاؤم أسلوب القرآن مع مقتضى حال السامعين والعالمين إلى يوم الدين[83].

فمن خلال الوقوف على أسباب النزول يتبين سر التعبير القرآني ودقة تركيبه ووجوه الارتباط بين أجزاء النظم ويبرز مدى التلاحم والانسجام البديع بين الآيات بصورة في غاية الروعة والحسن والجمال وبها يكشف عن إعجازه؛ لأن" أسباب النزول يبين حال المخاطب وواقعه الذي نزل القرآن ليعالجه، ومعلوم أن معرفة مقتضيات الأحوال المحيطة بالخطاب تبرز ما فيه من إعجاز "[84].

فقد اتضح من كلام العلماء السابق دور أسباب النزول سواء في بيان المعنى أو التدبر في ما وراء المعنى من لطائف ونكت ودلالات متنوعة تتضمنها اللفظة القرآنية فلا يغفل عنها، ولذا أنكر الإمام الزركشي _ رحمه الله_ على من أدعى أن ليس هناك حاجة إلى معرفة سبب نزول القرآن؛ لأن ذلك جريان القرآن على شكل تاريخي، حيث قال:" زعم زاعم أنه لا طائل تحت هذا الفن؛ لجريانه مجرى التاريخ وأخطأ في ذلك بل له فوائد" ثم ذكر جملة من الفوائد منها:" الوقوف على المعنى قال الشيخ أبو الفتح القشيري بيان سبب

النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا" (85).

ولهذا سعى العلماء عند تنقيبهم عن لطائف القرآن إلى معرفة ما يتعلق بالسورة من الظروف والأحوال التي نزلت فيها ومكان نزولها وملابساتها وواقعها وأحداثها؛ لأن لها أثرًا في إدراك بلاغة النص النازل، ومناسبة ألفاظه، وإبراز جمال نظمه، فكان ذلك خير معين لهم للوصول إليها.

شواهد ذلك:

ـ قوله تعالى:﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾ [عبس: 1، 2]. ورد في سبب نزول هذه الآية: أن ابن أم مكتوم أَتَى النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَهُوَ يُنَاجِي عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَأَبَا جَهِلِ بْنَ هِشَامٍ وَعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأُبَيًّا وَأُمَيَّةَ ابْنَيْ خَلَفٍ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَرْجُو إِسْلَامَهُمْ، فَقَامَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي، مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ؛ وَجَعَلَ يُنَادِيهِ وَيُكَرِّرُ النِّدَاءَ وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ مُشْتَغِلٌ مُقْبِلٌ عَلَى غَيْرِهِ، حَتَّى ظَهَرَتِ الْكَرَاهِيَةُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِقَطْعِهِ كَلَامَهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: "يَقُولُ هَؤُلَاءِ الصَّنَادِيدُ إِنَّمَا أَتْبَاعُهُ الْعُمْيَانُ وَالسِّفْلَةُ وَالْعَبِيدُ"، فَعَبَسَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَعْرَضَ عَنْهُ وَأَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ يُكَلِّمُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بَعْدَ ذَلِكَ يُكْرِمُهُ، وَإِذَا رَآهُ يَقُولُ: "مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي"(86).

فلو دققنا النظر في أسباب نزول الآية، سيتضح لنا جليًا سر مجيء تركيب الآية على هذا النسق البديع، فقد نزلت هذه الآية معاتبة للنبي_ صلى الله عليه وسلم_ لكن عتاب الله _تعالى_ لنبيه_ عليه الصلاة والسلام_ ممزوجًا باللطف والرفق والحب، فعاتبه عتاب مُحب، بما يؤذن به التعبير الذي جاءت به الآية،

_ فالملاحظ: أنه قد افتتح الكلام بضمير الغائب وآثره على ضمير المخاطب، فقال: (عبس وتولى) ولم يقل (عبست وتوليت)؛ لأنه ألطف من المشافهة فخاطبه بذلك الأسلوب؛ إكرامًا وتعظيمًا لشأنه _ صلى الله عليه وسلم_ ومكانته العالية عنده جل وعلا(87).

_ كما أن اختيار لفظ الغيبة جاء مناسبًا للحدث، فعبوس النبي_ عليه الصلاة والسلام_ لم يكن من فراغ، كما رأينا في أسباب النزول؛ إذ ليس من الأدب مقاطعة كلام أحد كان منغمسًا في الحديث مع الآخرين فالنفس تستكره هذا الشيء وتبغضه، فما بال والمتكلم هو النبي_ عليه الصلاة والسلام_ وكان اجتماعه مع أولئك القوم وكلامه معهم لأمر مهم، لغرض ديني دعوي، فجيء بلفظ الغائب؛ لأنها أخف في العتاب وكأن لا عتاب في المقام.

قال الإمام ابن عاشور رحمه الله" اقتصار النبي_ صلى الله عليه وسلم على الاعتناء بالحرص على تبليغ الدعوة إلى من يرجو منه قبولها مع الذهول عن التأمل فيما يقارن ذلك من تعليم من يرغب في علم الدين ممن آمن، ولما

كان صدور ذلك من الله لنبيه _صلى الله عليه وسلم_ لم يشأ الله أن يفاتحه بما يتبادر منه أنه المقصود بالكلام، فوجهه إليه على أسلوب الغيبة ليكون أول ما يقرع سمعه باعثًا على أن يترقب المعني من ضمير الغائب فلا يفاجئه العتاب، وهذا تلطف من الله برسوله _صلى الله عليه وسلم_ ليقع العتاب في نفسه مدرجا وذلك أهون وقعا، ونظير هذا قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ [التوبة: 43] (88).

_ اختيار لفظ(الأعمى) في هذا الموضع له دلالته وحكمته، فقد يقول قائل إن في مجيء هذا اللفظ استحقار لشأن ابن مكتوم، بل الصحيح أن مجيء هذا اللفظ هنا أبلغ من اختيار لفظة غيرها، فذِكرُه بهذا الوصف قد برر سبب إقدامه على قطع كلام النبي _صلى الله عليه وسلم_، فعُذِر على فعله، وكذلك هذه الصفة أدعى للنفس في الرأفة به، وجبرًا لكسر خاطره.

قال أبو حيان رحمه الله:" وجاء لفظ الأعمى؛ إشعارًا بما يناسب من الرفق به، والصغو لما يقصده"(89).

وقال الشنقيطي رحمه الله:" أن السر في التعبير عنه بلفظ " الأعمى "؛ للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام الرسول – صلى الله عليه وسلم –، لأنه لو كان يرى ما هو مشتغل به مع صناديد الكفار لما قطع كلامه"(90).

وهكذا هو القرآن الكريم يأتي نظمه بألفاظ تناسب الواقعة والحادثة التي دارت، ويراعي فيه حال المخاطب ومقامه، وقد ذكر الإمام الشاطبي _رحمه الله_ هذه الفائدة لأسباب النزول حيث قال:" إن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلًا عن معرفة مقاصد كلام العرب؛ إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطَب، أو المخاطِب، أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك؛ كالاستفهام، لفظه واحد، ويدخله معان أخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها، ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجة، وعمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كل حال ينقل ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة؛ فات فهم الكلام جملة، أو فهم شيء منه، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط؛ فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال"(91).

- قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴾ [التوبة: 58].

لو تأملنا في سبب نزول هذه الآية سنجد مدى ارتباطه ببلاغة النظم تمام الارتباط؛ هذه الآية نزلت في بعض المنافقين وسبب نزولها ما روي أن أبا سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: بينما رسول الله يقسم قسمًا، إذ جاءه ذو الخويصرة التميمي فقال: اعدل، فقال: ((ويلك! من يعدل إذا لم أعدل؟!))، فنزلت﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ

﴾ الآية[92].

ويظهر انسجام سبب النزول هنا مع سياق الآية من عدة أوجه:

1. الدقة في التعبير حيث اختار لفظ "اللمز" هنا دون غيره؛ لمناسبته لحال المنافق العائب على رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_ في قسمة الصدقات، فاللمز – كما قال المفسرون –: هو العيب، والطعن، واللمز: الاغتياب، وتتبع المعاب[93]،فاختيار لفظ اللمز جاء مطابقًا لصفات المنافقين تمام الانطباق، حيث كانوا يعيبون على رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_ في قسمته للصدقة، ويطعنون عليه في وجهه.

كذلك يلاحظ مجيء فعل اللمز بصيغة المضارع؛ ليفيد تجدُّد هذا اللمز منهم عند كل موقف فيه قسمة للمال؛ لانشغالهم بالدنيا وحبهم لها.

ونجد أيضًا من دقة التعبير القرآني هنا عند بيانه لموقف المنافقين من القسمة، أنهم إذا كان لهم نصيب رضوا بتلك القسمة لكنه رضا غير مستقر، بدليل مجيء التعبير بالجملة الفعلية إشارة إلى عدم ثبوته فرضاهم رضا العابر، لا رضا النفوس القريرة المطمئنة، على عكس مجيء التعبير عن السخط بالجملة الاسمية؛ لأنه ثابت وملازم لهم، وقرنه بـ "إذا" الفجائية؛ للإشارة إلى سرعة مفاجأتهم بالسخط، وعدم تأخيره، ودلَّتْ "إذا" الفجائية على أن سخطهم أمرٌ يفاجئ العاقل حين يشهده؛ لأنه يكون في غير مظنة سخط، وشأن الأمور المفاجئة أن تكون غريبةً في بابها[94]، فغايَر – سبحانه – بين جوابي الجملتين؛ إشارة إلى أن سخطهم ثابت لا يزول ولا يفنى، بخلاف رضاهم[95].

2. أظهر سبب النزول مناسبة هذه الآية لما قبلها وما بعدها، إذ بينهما ارتباط وثيق قال الإمام البقاعي رحمه الله: "ولما قرر حال من يتخلف عن الجهاد، وربما بذل ماله فيه افتداء لسفره، شرع في ذكر من يشاركه في الإنفاق والنفاق ويخالفه فقال: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ أي: يعيبك عند مشاكليه على طريق الملازمة في ستر وخفاء أو تظاهر وقلة حيا"[96].

أما عن علاقتها بما بعدها، قد بينت الآية بعدها أن الصدقة إنما تكون للأصناف الثمانية المذكورة، فهي أحق الناس بالزكاة ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: 60]. فنزولها جاء ملائمًا لمضمون الآية السابق واللاحق.

ـ كما رأينا من خلال الشواهد السابقة روائع التناسب والارتباط بين أسباب النزول وبلاغة النظم القرآني التي كشفت عن وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

المطلب السابع: التدبر في مقاصد سور القرآن الكريم.

إن من أحد العلوم المتفرعة عن علوم القرآن الكريم " علم مقاصد السور" هذا العلم الذي أصّل

له الإمام البقاعي _ رحمه الله_ الذي ألف كتابين تناول فيهما مقاصد السور، أحدهما خاص بها وهو "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، والثاني مبني عليها وهو "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".

والمراد بعلم مقاصد السور: علم يعرف به الغرض الذي سيقت السورة من أجله وترجع إليه جميع موضوعاتها وآياتها ومضمونها وقصصها(97).

فكل سورة من سور القرآن قد احتوت على غرض معين تدور حوله السورة أكان تربية أو تحذير أو ترغيب أو كشف أو فضح أو معالجة، فنجد آيات السورة مترابطة أجزائها جامعًة للموضوعات في سبيل تحقيق المقصد الأعظم التي تسمو إليه فهو يمثل العمود التي تبتنى عليه آياتها، قال الإمام البقاعي_ رحمه الله_ في مقدمة كتابه(مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور): " فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه، على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل، استدل عليه. وهكذا في دليل الدليل، وهلم جرا، فإذا وصل الأمر إلى غايته، ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه، على نهج آخر بديع، ومرقى غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرةً كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغُرِّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها"(98).

فمقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه؛ ولهذا فإن معاني السورة لا تتحقق إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر واستخراج مقاصده(99).

وعن طريق هذا العلم يفهم معاني كلام الله، كما أن التدقيق في مغزى السورة وما توحي إليه بالتأمل في افتتاحها واختتامها وسابقها ولاحقها وموضوعاتها وألفاظها، يهدي إلى ما ترشد إليه آياتها من دلالات، ويسهم في استنباط لطائف ودقائق معانيه الذي بها يتحقق الفهم والعمل، قال الإمام البقاعي _ رحمه الله_ في كلامه على علم المقاصد:" وغايته: معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة، ومنفعته: التبحر في علم التفسير، فإنه يثمر التسهيل له والتيسير"(100).

فمن وقف عند مقاصد القرآن والسور والآيات وقفة تدبر كشفت له أسراره الخفية، ولذا قال الإمام الشاطبي رحمه الله:" التدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد"(101) وهذا ما سعى إليه بعض المفسرين فقد جالت أنظارهم في مغزى كل سوره وصالت في رحيق آياتها العطرة حتى استنبطوا منها جلّة من اللطائف والدرر، فمعرفة هذه

المقاصد هو طريق لمعرفة لطائف السور القرآنية من بين مكنون آياتها.

شواهد ذلك:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[الكوثر: 1، 2، 3].

جاء مقصود هذه السورة يحمل بشارات عظيمة للنبي_ صلى الله عليه وسلم_ قال الإمام البقاعي رحمه الله:" مقصودها المنحة بكل خير يمكن أن يكون، واسمها الكوثر واضح في ذلك وكذا النحر؛ لأنه معروف في نحر الإبل، وذلك غاية الكرم عند العرب"(102).

ومن يتأمل في مقصد السورة ستنجلي له عدة لطائف: أفادت السورة شرف النبي_ عليه الصلاة والسلام_ ومكانته حيث أضافه إلى ربوبيته﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾[الكوثر: 2]، وخصه الله_ تعالى_ بالخير الكثير الذي منه النبوة والكتاب والعلم بربه والنهر وغيرها، وأن مما خصه _تعالى_ كذلك من النعم أن أوجب محبته في قلوب خلقه حيث بيّن عاقبة مبغضه، وهذا مستلزم لنعمة أخرى وهو علو ذكره فلا أحد يستطيع أن ينقص قدره، وأن أعداءه لا يستطيعون النيل منه وغيرها، وأن الشكر العملي المتمثل في الصلاة والنحر هو أعظم أنواع الشكر(103).

- ما يتعلق بإحدى صور البلاغة القرآنية وهو الدقة في اختلاف التعبير والأسلوب بين الآيات القرآنية، فمقاصد السور يكشف عن سر اختلاف التعبير القرآني من موضع لآخر، ويظهر لنا أن سياق كل آية يتناسب مع الغرض والمغزى الذي سيقت لأجله.

فمثلًا: قصة موسى فقد تكررت في تسع سور من القرآن، في كل موضع وردت فيه تعالج غرضًا معينًا وليس لتكرار الغرض نفسه، ففي سورة البقرة كان الغرض من القصة إظهار امتنان الله على بني اسرائيل بالنعم، ومقابلتهم لتلك النعم بالكفر والجحود فهي في بيان نهاية أمرهم؛ ولذلك جاءت في سياق تربية الأمة المحمدية وتحذيرهم من مشابهة بني إسرائيل حتى لا يقعوا فيما وقعوا به.

أمّا في سورة الأعراف سيقت القصة لبيان أخبارهم وأحوالهم مع نبيهم ابتداءً، ما يدل على ذلك أن سورة الأعراف مكية، وسورة البقرة مدنية.

ويشهد لهذا في السورتين مراعاة التعبير حسب السياق الذي وردت فيه القصة ففي سورة الأعراف يقول تعالى:﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [الأعراف: 160].

وفي سورة البقرة يقول تعالى:﴿۞وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠﴾ [البقرة: 60].

ولو تأملنا في الآيتين سنجد أنه قد اختلف التعبير بحسب السياق والمقصد الذي وردت فيه القصة في السورة، وذلك من بلاغة القرآن وإعجازه، ففي آية الأعراف جاء التعبير بقوله:﴿ٱسۡتَسۡقَىٰهُ﴾؛ وذلك لأن الاستسقاء ابتداء صادر

من قوم موسى، وفي آية البقرة جاء التعبير بقوله: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ ﴾ وهذا وارد بصدور الاستسقاء من موسى إلى ربه تعالى بعد ذلك.

كما أن من وجوه الاختلاف بين الآيتين، أن في آية الأعراف جاء التعبير بقوله: ﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ ﴾ والانبجاس ابتداء الخروج والانفجار وهو مناسب لغرض القصة فيها، وفي آية البقرة جاء التعبير بقوله: ﴿ فَٱنفَجَرَتْ ﴾ والانفجار غاية الخروج وكماله، وهو مناسب لغرض القصة فيها(104).

فتبين لنا من خلال النظر في مقصود السورتين دقة التعبير القرآني_ التي هي وجه من وجوه البلاغة القرآنية_ بحيث إنه قد وضع لكل سياق لفظة تتناسب مع مضمونها ومقصودها التي سيقت لأجله، قال الإمام البقاعي_ رحمه الله_ مؤكدًا ذلك: "ولأجل اختلاف مقاصد السور، تتغير نظوم القصص وألفاظها، بحسب الأسلوب المفيد للدلالة على ذلك المقصد"(105).

المبحث الثالث: طرق متنوعة.

المطلب الأول: التأمل في الأحاديث النبوية المشابهة للنص القرآني.

السنة النبوية مكانتها عظيمه في الشريعة الإسلامية فهي شارحة للقرآن: مفصلة لمجمله ومبينة لغامضه ومخصصة لعامه ومقيدة لمطلقه فكانت خير مفسر له؛ كما أن كلام النبي_ عليه الصلاة والسلام_ له أثر في استلهام اللطائف المنثورة في النص القرآني، قال الإمام الزرقاني رحمه الله:" وهذا بحر النبوة يفيض بالدراري واللآلئ ويزخر بالهدايات البالغة والحكم الغوالي"(106)، والمفسرون قد استندوا إلى السنة عند تتبع أسرار القرآن، فكانوا يأتون بالأحاديث النبوية لتأييد بعض المعاني المستنبطة التي تم التوصل إليها من خلال قراءة النص القرآني عقب النظر في سياقاته.

شواهد ذلك:

- في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: 15] وهي الآية التي ذكرت شاهدًا في الطريقة السابقة، فكما أن المفسرين توصلوا من خلال تأملهم للآيات إلى بيان اللطيفة في سر تقديم الأموال على الأولاد كون المال أعظم فتنه من الولد بما ترشد إليها النصوص الأخرى، كذلك كان للحديث النبوي دور في استنباطها، إذ إنهم استفادوا ذلك المعنى المستنبط بما أشار إليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن لكل أمة فتنة، وإن فتنة أمتي المال**»(107).

– قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الصافات: 19] سياق هذه الآية يتحدث عن أحوال يوم القيامة، وقد ذكرت الآية من أحوالها ما يتعلق بالبعث من القبور والنفخ في الصور، وحال الناس عند الخروج منه بعد أن صاروا عظامًا ورفاتًا، والنفخ يكون لحاسة السمع أقرب من حاسة النظر لكن في هذا المقام ذكر حاسة البصر دون السمع، وقد وجه الإمام البقاعي _رحمه الله_ سر ذلك الاختصاص مستندًا على ذلك بدليل للنبي _صلى الله عليه وسلم_ أرشده لتلك للطيفة حيث قال:" ولعله خص بالذكر _أي البصر_؛ لأنه لا

يكون إلا مع كمال الحياة؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «**إذا قبض الروح تبعه البصر**»(108) وأما السمع فقد يكون لغير الحي؛ لأنه _صلى الله عليه وسلم_ قال في الكفار من قتلى بدر: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»"(109) (110).

المطلب الثاني: الاستفادة من الشواهد الشعرية.

نـزل القرآن الكريم بلغة العرب جريًا على لسانهم، فكان ذلك من رحمة الله بأمته، وبنزوله على هذه الكيفية سهل لهم حفظه وفهمه، فالرجوع إلى اللغة في تفسير النصوص يعد مرجعًا مهمًا، وقد أكد المفسرون على ضرورة معرفة المفسر للغة وأسرارها وأساليبها وخطبها وأشعارها لفهم مراد الله وتذوق أسراره، وفي هذا يقول الإمام ابن عاشور رحمه الله:" إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة، ويعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان، ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم، ويدخل في ذلك ما يجري مجرى التمثيل والاستئناس للتفسير من أفهام أهل اللسان أنفسهم لمعاني آيات غير واضحة الدلالة عند المولدين"(111).

والمفسرون قد استعانوا بالشواهد الشعرية في استخراج أسرار القرآن البلاغية ولطائفها الفنية، فقد كانت إحدى الطرق التي سلكها المفسرون في تفاسيرهم، حيث كانوا يستشهدون على المعنى الذي يستنبطونه من النصوص بأشعار العرب وأقوالهم.

شواهد ذلك:

. قوله تعالى:﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾ [الحشر: 14] استنبط المفسرون من هذه الآية لطيفة توصلوا إليها من خلال رجوعهم إلى أشعار العرب، قال الإمام ابن عاشور _رحمه الله_ في سر ختام فاصلة الآية:" وأوثر هنا﴿ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾، وفي الآية التي قبلها ﴿ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾(112)؛ لأن معرفة مآل التشتت في الرأي، وصرف البأس إلى المشارك في المصلحة من الوهن، والفت في ساعد الأمة معرفة «مشهورة» بين العقلاء، قال أحد بني نبهان يخاطب قومه إذ أزمعوا على حرب بعضهم(113):

وأن الحزامة أن تصرفوا ... لحي سوانا صدور الأسل(114)

فإهمالهم سلوك ذلك جعلهم سواء مع من لا عقول لهم فكانت هذه الحالة شقوة لهم حصلت منها سعادة للمسلمين"(115).

ـ قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾ [الحشر:18] جاء النظم القرآني هنا معبرًا عن يوم القيامة بلفظ (الغد) للطيفة بلاغية أرشد إليها كلام العرب، قال الشيخ محمد سيد طنطاوي رحمه الله:" وعبر – سبحانه– عن يوم القيامة بالغد، للإشعار بقربه، وأنه آت لا

ريب فيه، كما يأتي اليوم الذي يلي يومك، والعرب تخبر عن المستقبل القريب بالغد، كما في قول الشاعر [116]:

فإن يك صدر هذا اليوم ولى ... فإن غدا لناظره قريب"[117].

المطلب الثالث: الاستفادة من قواعد التفسير.

يقصد بقواعد التفسير:" هي الأحكام الكلية التي يُتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم ومعرفة كيفية الاستفادة منها"[118]، وقد وضع العلماء لعلم التفسير قواعد خاصة به مثله مثل أي فن له قواعده الكلية ترد إليها الجزئيات، فكانت بمثابة الأداة التي يتوصل بها المفسر إلى المعنى المراد من الآيات واستنباط الدلالات الخفية فيها، فـ" من عرف قواعد التفسير انفتح له من المعاني القرآنية ما يجل عن الوصف، وصار بيده آلة يتمكن بواسطتها من الاستنباط والفهم، مع ملكة ظاهرة تصيره ذا ذوق واختيار في الأقوال المختلفة في التفسير فيقوى على الفهم والاستنباط والترجيح"[119]، ولذا كانت القواعد التفسيرية التي وضعها العلماء من خلال نظرتهم الثاقبة وتدبرهم الغائر في نصوص الآيات مرشدًا وطريقًا لهم في استنباط الكثير من اللطائف البلاغية.

شواهد ذلك:

ــ قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[الأعراف: 161]، قال الإمام الشعراوي ــ رحمه الله ــ وهو يبين الفارق في المتشابه اللفظي بين هذه الآية، وآية: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[البقرة: 58]" فالكيان العام واحد ونجد خلافًا في الألفاظ واللقطات عن الآية التي وردت في سورة الأعراف، أول خلاف {وَإِذْ قُلْنَا}، و{وَإِذْ قِيلَ}، وشاء الحق ذلك؛ ليأتي لنا بلقطة مختلفة، ففي آية سورة البقرة يقول سبحانه:{ادخلوا} وفي آية سورة الأعراف يقول: {اسكنوا}، ونعلم أن الدخول يكون لغاية وهي السكن أي: ادخلوا لتسكنوا، وأوضح ذلك بقوله في سورة الأعراف: {اسكنوا} ليبين أن دخولهم ليس للمرور بل للإقامة، وأراد سبحانه أن يعطيهم الغاية النهائية؛ لأنه لا يسكن أحد في القرية إلا إذا دخلها، وهكذا نرى أن كلمات القرآن لا تأتي لتكرار، بل للتأسيس وللإتيان بمعنى جديد يوضح ويبين ويشرح"[120].

استفاد الشيخ الشعرواي ــ رحمه الله ــ هذا المعنى المستنبط من القاعدة التفسيرية: أن القول بالتأسيس أولى من التأكيد.

ــ قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾[النحل: 89] جاء التعبير القرآني بلفظ التبيان دون لفظ البيان؛ ذلك لأنه مصدر يدل على التكثير، أي: بيانًا بليغًا شاملًا لكل شيء، فالتبيان أخص من مطلق البيان على القاعدة: أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى[121]، فقد أخذوا ذلك المعنى المستنبط من قاعدة دلالة زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، لما كانت التبيان أكثر حروفًا من البيان كان معناها أبلغ وأقوى.

. قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: 2]

ذهب الإمام السعدي_ رحمه الله_ إلى أن الخطاب في قوله﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ ليس خاصًا ببني النضير بل هو عام غير موجه إلى معين، وقد أخذ هذا المعنى المستنبط من القاعدة التفسيرية: بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، حيث قال:" ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ أي: البصائر النافذة، والعقول الكاملة، فإن في هذا معتبرًا يعرف به صنع الله تعالى في المعاندين للحق، المتبعين لأهوائهم، الذين لم تنفعهم عزتهم، ولا منعتهم قوتهم، ولا حصنتهم حصونهم، حين جاءهم أمر الله، ووصل إليهم النكال بذنوبهم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن هذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار، وهو اعتبار النظير بنظيره، وقياس الشيء على مثله، والتفكر فيما تضمنته الأحكام من المعاني والحكم التي هي محل العقل والفكرة، وبذلك يزداد العقل، وتتنور البصيرة ويزداد الإيمان، ويحصل الفهم الحقيقي، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء اليهود لم يصبهم جميع ما يستحقون من العقوبة، وأن الله خفف عنهم"(122).

- قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴾[الملك: 19].

قد بيّن الإمام الزمخشري_ رحمه الله_ سر اختيار التعبير القرآني للفظ (ويقبضن) دون (قابضات) حيث قال:" فإن قلت: لم قيل: ويقبضن، ولم يقل: وقابضات؟ قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة، لأنّ الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مدّ الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل، على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة كما يكون من السابح"(123).

ونقل الإمام الشنقيطي_ رحمه الله_ كلام الإمام أبي حيان_ رحمه الله_ في سر عطفه _تعالى_ بالفعل (ويقبضن)على الاسم (صافات)، بمثل ما ذهب إليه الإمام الزمخشري_ رحمه الله_، ثمّ بيّن أن الإمام أبا حيان_ رحمه الله_ قد استفاد هذا المعنى من القاعدة الأساسية: أن الاسم للدوام والثبوت، والفعل للتجدد والحدوث، فالحركة الدائمة في الطيران هي صف الجناح، والجديد عليه هو القبض (124).

المطلب الرابع: المعايشة الروحية الحية للآيات القرآنية.

هذه الطريقة من أجل الطرق الموصلة للطائف كتاب الله العظيم، فالعيش مع كتاب الله من أجل النعم وأعظمها، والمرء إذا عاش مع كتاب الله وغاص في رحاب آياته، كان له الزاد والسكن والملجأ والراحة والأمان والسلام، وتجسد فيه سلوكًا وعملًا، فعند تلاوته للآيات يرق قلبه، وتحرك

خلجاته، ويوقظ ضميره وسريرته، ويتذوق حلاوته وجماله، ويقف على كنوزه ولطائفه، ويرى نوره في حياته ومماته، قال سيد قطب رحمه الله:" إنّ هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يُقبل عليه بهذه الروح: روح المعرفة المنشئة للعمل"(125).

تلك الطرق الأربع عشرة المذكورة هي طرق لتذوق اللطائف البلاغية التفسيرية، التي تستعذبها النفس وتشنف لها الأسماع وتزداد القلوب إيمانًا وتسليمًا وتصديقًا بهذا الكتاب الجليل فلا يستهان بها؛ لما لها من أثر في فهم النظم القرآني، فكلما أمعن المتدبر فيها تذوق أسراره وزاد إدراكه لوجوه الإعجاز البلاغي، وقد يفتح الله عليه فيقف على مالم يقف عليه الأوائل إذا ما علم الله صدق سريرته فكتاب الله مليء باللطائف الدقيقة التي يمكن بالتدبر الوصول لبعضها ومهما وقفنا عند المعاني الظاهرة للآيات سيظل فيها معانٍ خفية يظهر منها في كل حين من الدهر، ما لم يكن قد ظهر من قبل.

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث فقد تضمن جملة من النتائج يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

1. تنوعت الطرق التي اعتمد عليها العلماء في استنباط اللطائف التفسيرية البلاغية، فمنها متعلقة باللغة، ومنها متعلقة بعلوم القرآن، ومنها متعلقة بالقواعد والأثر.
2. يعد السياق أكثر الطرق اعتمادًا في استلهام اللطائف التفسيرية البلاغية، فكما أن السياق مهم في فهم مراد الله تعالى، فأهميته لا تقل في مجال التدبر، فاللطائف المستفادة من سياق الآيات كثيرة ويصعب حصرها.
3. كشفت هذه الطرق عن بلاغة القرآن الفذ ووجه من وجوه إعجازه وهو الإعجاز البلاغي، وأبانت عن ثروة دلالة ألفاظ القرآن الكريم.
4. أظهرت هذه الطرق مدى دقة التعبير القرآني وجمال أسلوبه وبديع تركيبه وحسن نظمه، فانتقاء القرآن الكريم للفظة أو لجملة في سياق ما كان له حكمته ودلالته في اختياره دون سواه .
5. تعد هذه الطرق التي وقف عندها العلماء هي من أهم الطرق التي تعين المتدبر لكتاب الله على الوقوف عند أسراره وكنوزه ولطائفه الخفية، متى سلكها أضاءت له خفايا مدلول ألفاظه.

الهوامش:

(1) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت: 395هـ) (3/ 449) مادة (طرق).

(2) المصدر السابق: (3/ 452) مادة (طرق).

(3) لسان العرب محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: 711هـ): (10/ 220) مادة (طرق).

(4) القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: 817هـ) تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة (ص: 903) مادة (طرق).

(5) التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ): (ص: 141).

(6) ينظر: تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: 370هـ): (13/ 235)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: (ت: 393هـ): (4/ 1426)، ولسان العرب: لابن منظور:

(9/316) مادة (لطف).

[7] العين: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت: 170هـ): (7/429) مادة (لطف).

[8] تهذيب اللغة: للأزهري: (13/235) مادة (لطف).

[9] النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ): (4/ 251).

[10] العين: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت: 170هـ): (7/429) مادة (لطف).

[11] تهذيب اللغة: للأزهري: (13/235)، ولسان العرب: لابن منظور: (9/ 317) مادة (لطف).

[12] تهذيب اللغة: للأزهري: (13/235)، ولسان العرب: لابن منظور: (9/ 317) مادة (لطف).

[13] المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ): (ص: 740).

[14] تهذيب اللغة: للأزهري: (13/235) مادة (لطف).

[15] الصحاح: للجوهري: (4/1427)، لسان العرب: لابن منظور: (9/ 316) مادة (لطف).

[16] التعريفات: (ص: 192).

[17] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي التهانوي (ت: بعد 1158هـ): (2/ 1407).

[18] المصدر السابق: (2/ 1408).

[19] وهو تعريف أحمد شاكر _ محقق تفسير الطبري _ فقد عرّف معنى اللطائف في هامش التفسير.

جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ): (3/1).

[20] دروس للشيخ الدكتور. سلمان العودة، موقع الموسوعة الشاملة

https: //www.islamport.com

[21] ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس: (4/ 504) مادة (فسر)، لسان العرب، ابن منظور: (5/ 55) مادة (فسر).

[22] المفردات في غريب القرآن: (ص: 636) مادة (فسر).

[23] تهذيب اللغة: للأزهري: (12/ 278) مادة: (سفر).

[24] مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: 1367هـ): (2/ 3).

[25] ينظر: مقاييس اللغة: لابن فارس: (1/301) مادة (بلغ)، المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني: (ص: 144) مادة (بلغ).

[26] ينظر: لسان العرب: لابن منظور: (8/ 419، 420) مادة (بلغ).

[27] البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، الشهير بالجاحظ (ت: 255هـ): (1/17).

[28] الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: 395هـ): (ص: 10).

[29] التعريفات: للجرجاني: (ص: 46).

[30] ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: 808هـ)، تح: خليل شحادة، (ص: 762).

[31] التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، (ب: تح)، (1/ 42).

[32] المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ)
تح: صفوان عدنان الداودي: (ص: 54، 55).

[33] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: 1356هـ): (ب: تح): (ص: 179).

(34) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار: (6/2500) مادة: (نبا).

(35) ينظر: روح المعاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، تح: علي عبد الباري عطية: (14/ 325)، التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ)، (ب: تح): (14/ 1002).

(36) التحرير والتنوير: (28/ 256).

(37) ينظر: معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت: 395هـ): تح: صفوان عدنان الداودي: (2/239) مادة (خبر).

(38)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، (3/ 239).

(39) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: (12/ 250)، جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف: (ص: 155).

(40) درة التنزيل وغرة التأويل: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: 420هـ)، تح، تع: د/ محمد مصطفى آيدين: (1/ 55، 56).

(41) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: (1/112).

(42) معترك الأقران في إعجاز القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ): (1/ 66).

(43) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: 817هـ)، تح: محمد علي النجار: (1/ 468).

(44) مفاتيح الغيب: (17/ 254).

(45) كشف المعاني في المتشابه من المثاني: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (ت: 733هـ)، تح: د. عبد الجواد خلف: (ص: 135).

(46) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية: خالد بن سليمان المزيني: (1/ 180).

(47) البرهان في علوم القرآن: (2/172).

(48) مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (15/ 196).

(49) ينظر: الكشاف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ): (4/ 546)، المحرر الوجيز: (5/ 318)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، (ب: تح): (8/ 255).

(50) التحرير والتنوير: (28/ 273، 274).

(51) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة (7/ 492)

(52) البرهان في علوم القرآن: (4/ 16).

(53) تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: 1354هـ)، (ب: تح): (6/ 54).

(54) مصاعد النظر للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، (ب: تح): (1/142).

(55) مفاتيح الغيب: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، (ب: تح): (10/ 110).

(56) البيت للشاعر أبو العلاء المعري، ينظر: ديوان أبي العلاء المعري، (ص: 11).

(57) مفاتيح الغيب: (7/ 106، 107).

(58) نقلًا عن الدكتور بسيوني من كتابه الفصل والوصل: د. بسيوني عرفة رضوان: (ص: 39).

(59) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، (ب: تح): (8/1).

(60) مفاتيح الغيب: (10/ 110).

(61) تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي: (ت: 1371هـ)، (ب: تح): (88/28).

(62) مفاتيح الغيب: (32/ 307).

(63) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: 1367هـ): (1/ 60).

(64) ينظر: رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة: شعبان محمد إسماعيل: (ص: 37).

(65) ينظر: البرهان في علوم القرآن: للزركشي: (397/1، 398).

(66) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي: (ص: 25، 26)، العلاقة بين الرسم القرآني والدلالة: د. عمر عبد الهادي عتيق، (ص: 444).

(67) التحرير والتنوير: (28/ 195).

(68) ينظر: البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، تح: صدقي محمد جميل: (10/ 192)، روح المعاني: للألوسي: (14/ 322)، تفسير المراغي: (28/ 130).

(69) ينظر: البحر المحيط: لأبي حيان: (10/ 143).

(70) التحرير والتنوير: (1/ 56).

(71) النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833 هـ)، تح: علي محمد الضباع (ت: 1380 هـ): (1/ 52).

(72) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: 875هـ)، تح: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود: (1/ 107).

(73) كتاب السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: 324هـ)، تح: شوقي ضيف: (ص: 638).

(74) التحرير والتنوير: لابن عاشور: (277/28).

(75) ينظر: النشر في القراءات العشر: لابن الجزري: (2/ 387).

(76) حجة القراءات: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت: حوالي 403هـ)، تح: سعيد الأفغاني، (ص: 708).

(77) معاني النحو: فاضل صالح السامرائي، (3: 114، 115).

(78) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت: 1067هـ)، (ب: تح): (1/1).

(79) أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان (ص: 8)

(80) الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: (1/ 108).

(81) مجموع الفتاوى: (339/13).

(82) التحرير والتنوير: (47/1).

(83) علوم القرآن الكريم: نور الدين محمد عتر الحلبي: (ص: 48).

(84) القرآن الكريم والدراسات الأدبية: نور الدين عنتر: (ص: 85).

(85) البرهان في علوم القرآن: (22/1).

(86). أسباب النزول: للواحدي: (ص: 449).

(87) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: (19/ 213)، البحر المحيط: لأبي حيان: (10/ 406).

(88) التحرير والتنوير: (105/30).

(89)البحر المحيط: (10/ 406).

(90) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ): (430/8).

(91) الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: 790هـ)، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان: (4/ 146).

(92) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب: مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ وَيْلَكَ، رقم الحديث: (6163)، (38/8)، ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب: ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، رقم الحديث: (1064)، (744/2).

(93) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ): تح: أحمد محمد شاكر: (300/4)، النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم: (374/2)، روح المعاني: للألوسي: (309/5).

(94) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: (10/ 232).

(95) روح المعاني: للألوسي: (309/5).

(96) نظم الدرر: (8/ 502، 503).

(97) ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: للبقاعي: (1/ 155)، علم مقاصد السور: د. محمد بن عبد الله الربيعة: (ص: 7).

(98) مصاعد النظر: (1/ 149).

(99) ينظر: الموافقات: للشاطبي: (268/4).

(100) مصاعد النظر: (1/ 155).

(101) الموافقات: (209/4).

(102) نظم الدرر: (22/ 287).

(103) ينظر: الوافي في هدايات كلام الله الكافي تفسير وهدايات جزء عمّ: د. طه عابدين طه: (960/2).

(104) ينظر: علم مقاصد السور: د. محمد بن عبد الله الربيعة: (ص: 19).

(105) مصاعد النظر: (1/ 152).

(106) مناهل العرفان: (1/ 297).

(107) رواه أحمد في مسنده من حديث كعب بن عياض: مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، رقم الحديث: (17471)، (29/ 15) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد قوي، الحسن بن سوار صدوق لا بأس به، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح غير صحابي الحديث، فقد روى له الترمذي والنسائي.

ورواه الترمذي في سننه: سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ)، تح: بشار عواد معروف في أبواب الزهد، باب مَا جَاءَ أَنَّ فِتْنَةَ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي الْمَال، رقم الحديث: (2336)، (147/4)، وقال: هذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ.

(108) رواه مسلم في صحيحه: صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي كتاب: الجنائز، باب: فِي إِغْمَاضِ الْمَيِّتِ وَالدُّعَاءِ لَهُ إِذَا حُضِرَ، (2/ 634)، رقم الحديث: (920).

(109) رواه البخاري في صحيحه: صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر كتاب المغازي، باب: قَتْلِ أَبِي جَهْلٍ، (5/

76)، رقم الحديث: (3976)، ومسلم في صحيحه: كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ، (4/ 2202، 2203)، رقم الحديث: (2873، 2874).

(110) نظم الدرر: (16/ 206).

(111) التحرير والتنوير: (1/ 18).

(112) نص الآية: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: 13].

(113) الحزامة والحزم: ضبط الْأَمر وَالْأَخْذ فِيهِ بالثقة، وصدور الأسل: المُرَاد مِنْهَا الرماح يَقُول إِن ضبط الْأَمر وإصابة الرَّأْي أَن تردوا رماحكم إِلَى غيرنَا وَلَا تريقوا الدَّم بَيْننَا وَهَذَا تهديد وإيعاد. شرح ديوان الحماسة: يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا: (ت: 502هـ): (1/ 86).

(114) البيت من البحر المتقارب أورده أبو تمام في ديوان الحماسة دون أن ينسبه، ينظر: ديوان الحماسة: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي: (ص: ٤٦).

(115) التحرير والتنوير: (28/ 107).

(116) البيت لقُراد بن أجداع الكلبي. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: 1093هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون: (9/ 331).

(117) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي: (14/ 308).

(118) قواعد التفسير "جمعًا ودراسة": خالد عثمان السبت: (38/1).

(119) المصدر السابق.

(120) تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ): (7/ 4400).

(121) التفسير الوسيط: للطنطاوي: (8/ 218).

(122) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: (ص: 848).

(123) الكشاف: (4/ 581).

(124) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (8/241، 242).

(125) معالم في الطريق: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ): (ص: 15).

المصادر والمراجع:

1. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ب: ط)، 1394هـ/ 1974 م.
2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، (ب: تح)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ب: ط، د).
3. أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط: 2، 1412 هـ – 1992 م.
4. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ)، (ب: تح)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ – 1995 مـ.

5. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: 1356هـ): (ب: تح)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 8 – 1425 هـ – 2005 م.
6. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، (ب: ط)،1420 هـ.
7. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط: 1، 1376 هـ – 1957 م.
8. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: 817هـ)، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
9. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، ط: 1، بغداد، ط2، القاهرة، 1427هـ ـ 2006م.
10. البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
11. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، (ب: تح)، الدار التونسية للنشر – تونس، (ب: ط)، 1984 هـ.
12. تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، (ب: ط، ت).
13. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، 1420هـ – 1999 م.
14. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ)، (ب: تح)، دار الفكر العربي – القاهرة، (ب: ط، ت).
15. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: 1، 1365 هـ – 1946 م.
16. تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: 1354هـ)، (ب: تح)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1990 م.
17. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة

والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: 1، (ب: ت).
18. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420هـ -2000 م.
19. الجامع لأحكام القرآن: عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: 2، 1384هـ - 1964م.
20. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ): تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420هـ - 2000م.
21. جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف، دار المكتبي – دمشق، ط: 2، 1419 هـ - 1999م.
22. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: 875هـ)، تح: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 1، 1418 هـ.
23. حجة القراءات: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت: حوالي 403هـ)، تح: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، (ب: ط، ت).
24. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: 1093هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 4، 1418 هـ - 1997 م.
25. درة التنزيل وغرة التأويل: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: 420هـ)، تح، تع: د/ محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط: 1، 1422 هـ - 2001 م.
26. ديوان أبي العلاء المعري: بيروت، 1884م.
27. ديوان الحماسة: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط: 1، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
28. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: 808هـ)، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط: 2، 1408 هـ - 1988م.

29. رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة: شعبان محمد إسماعيل، دار السلام، ط: 2، (ب: ت).
30. روح المعاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1415 هـ.
31. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: 977هـ)، (ب: تح)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، (ب: ط)، 1285 هـ.
32. شرح ديوان الحماسة: يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت: 502هـ)، (ب: تح)، دار القلم – بيروت، (ب: ط، ت).
33. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: 4، 1407 هـ – 1987 م.
34. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: 1، 1422هـ.
35. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ب: ط، ت).
36. الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، 1419 هـ.
37. العلاقة بين الرسم القرآني والدلالة: د. عمر عبد الهادي عتيق، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد: 36، العدد (2) 2010م.
38. علم مقاصد السور: د. محمد بن عبد الله الربيعة، ط1، 1423هـ - 2011م.
39. علوم القرآن الكريم: نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح – دمشق، ط: 1، 1414 هـ – 1993 م.
40. الفصل والوصل: د. بسيوني عرفة رضوان، مكتبة الرسالة، القاهرة.
41. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: 817هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: 8، 1426 هـ – 2005 م.

42. قواعد التفسير "جمعًا ودراسة": خالد عثمان السبت، دار ابن عفان، (ب: ط، ت).
43. كتاب السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: 324هـ)، تح: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط: 2،1400هـ.
44. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 3، 1407 هـ.
45. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت: 1067هـ)، (ب: تح)، مكتبة المثنى – بغداد، (ب: ط)، 1941م.
46. كشف المعاني في المتشابه من المثاني: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (ت: 733هـ)، تح: د. عبد الجواد خلف، دار الوفاء . المنصورة، ط: 1، 1410هـ / 1990 م.
47. مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (ب: ط)، 1416هـ/1995م.
48. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية: خالد بن سليمان المزيني، (ب: تح)، دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1427 هـ - 2006 م.
49. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إش: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1421 هـ - 2001 م.
50. مصاعد النظر للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، (ب: تح): دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض، ط: 1، 1408 هـ - 1987 م.
51. معالم في الطريق: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ)، ط: 6، دار الشروق، 1399م ـ 1979م.
52. معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك، ط: 2، 1423هـ ـ 2003م.
53. معترك الأقران في إعجاز القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، (ب: تح)، دار

الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: 1، 1408 هـ – 1988 م.
54.معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت: 395هـ): تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: 1، 1412 هـ.
55.مفاتيح الغيب: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، (ب: تح)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 3، 1420 هـ.
56.المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط: 1– 1412 هـ.
57.مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (ب، د) ط: 3، (ب: ت).
58.الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: 790هـ)، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط: 1، 1417هـ/ 1997م.
59.النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833 هـ)، تح: علي محمد الضباع (ت: 1380 هـ)، المطبعة التجارية الكبرى تصوير دار الكتاب العلمية، (ب: ط، ت).
60.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، (ب: تح)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (ب: ط، ت).
61.النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، (ب: ط، ت).
62.الوافي في هدايات كلام الله الكافي تفسير وهدايات جزء عمّ: د. طه عابدين طه، مكتبة المتنبي، الدمام، السعودية، ط1،1339هـ - 2018م.